

## الفصل الثانى الجزر

الجزر النيلية بحدود مدينة القاهرة فى العصرين المملوكى والعثمانى :

الجزر<sup>(١)</sup> النيلية التى بنيل القاهرة أربع جزر هى جزيرة الذهب وجزيرة الروضة وجزيرة الزمالك وجزيرة الوراق . وكانت هذه الجزر من أجمل وأحسن المنتزهات فى مصر الإسلامية وخصوصا جزيرة الروضة التى كانت عروس المنتزهات على مر التاريخ .

ويرجع تكوين الجزر النيلية إلى عاملين رئيسيين هما النحت والأرساب اللذين يعرفان باسم الأكل والطرح ، وتعنى ظاهرة طرح النهر ظهور مساحات من الأراضى الجديدة التى تكونت نتيجة ترسب وتراكم الطمي وغرين النهر عاما بعد عام فى أماكن يضعف فيها قوة تيار النهر ، وهى تعرف باسم السواحل إذا كانت على شاطئ النهر أما التى تتكون فى وسط النهر فتسمى الجزر<sup>(٢)</sup> .

### أولا جزيرة الذهب :

توصلت إلى أصل جزيرة الذهب برجوعى إلى كتاب وقف السلطان الغورى الجامع لأوقافه<sup>(٣)</sup> ، فقد تبين لى أنه كان يوجد حتى سلطنة الغورى (أى حتى نهاية دولة المماليك وبداية الدولة العثمانية بمصر) ، كان يوجد جزيرتان طوليتان متوازيتان بينهما سيالة ماء تعرف الأولى باسم جزيرة الصابونى والأخرى باسم جزيرة الذهب ، وكانتا تقعان جنوبى جزيرة

---

(١) الجزيرة كما ذكرت فى قواميس اللغة «هى كل بقعة فى وسط البحر لا يعلوها البحر، وسميت بذلك لأنها جزرت أى قطعت عن تخوم الأرض فصارت منقطعة، والجزيرة أيضا هى أرض ينحدر عنها الماء ويقال جزر الماء أن نضب وجف، والجزر هو رجوع الماء إلى الخلف، والجزيرة هى واحدة جزائر البحر سميت بذلك لانقطاعها عن معظم الأرض، والجزيرة هى اسم لعدة أماكن منها محلة بالفسطاط إذا زاد الماء وطاف بها فاستقلت بنفسها». انظر : مختار الصحاح للرازى، القاموس المحيط للفيروزابادى، المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية . السيوطى ، حسن المحاضرة، ج٢، ص ٣٧٧ ، كوكب الروضة، ورقة ١١ .

(٢) محمد رمزى، شاطئ النيل تجاه مصر القديمة والقاهرة، ص ٤٩٨ ، سعاد هانى محمد جمال الدين ، الجزر النيلية، دكتوراة «مخطوط» (كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٦٩م)، المقدمة ص ب .

(٣) كتاب وقف السلطان الغورى الجامع لأوقافه رقم ٨٨٢ للحفظ بوزارة الأوقاف .

الروضة فى وسط النيل بين ساحل النيل الشرقى الذى كان به ناحية أثر النبى التى بها رباط الأثار الذى ما زال فى موقعه جامع أثر النبى (أثر رقم ٣٢٠) وبين شاطئ النيل الغربى تجاه الجزيرة، وكانت جزيرة الصابونى تقع شرق جزيرة الذهب، ثم اندمجت الجزيرتان فيما بعد وأصبحتا جزيرة واحدة تعرف الآن باسم جزيرة الذهب<sup>(١)</sup> (شكل ١٧).

وقد حدث مثل ذلك من قبل بشأن جزيرة الزمالك التى نتجت عن اندماج جزيرتى أروى وحليمه.

وجزيرة الذهب المندمجة بجزيرة الصابونى لا تزال تمثل موقعها القديم وإن اختلفت مساحتها مع الزمن، وهى طولية الشكل وتبلغ مساحتها ٣٤٢ فدان وهى تتبع مركز الجزيرة من الناحية الإدارية<sup>(٢)</sup>.

أما عن تاريخ جزيرة الذهب قبل اندماجها نرى أن «ياقوت الحموى» قد ذكرها بقوله أنه يوجد بمصر موضعان يحملان اسم جزيرة الذهب الأول بكورة فوه والثانى بكورة الجزيرة<sup>(٣)</sup>، كما ذكرها أيضا «الفيروزابادى»<sup>(١)</sup> وذكرها أيضا «ابن مباتى» وقال أنها تتبع الأعمال الجزيرة<sup>(٢)</sup>، وقد عرفت جزيرة الذهب فى وثائق ومصادر العصر المملوكى باسم جزيرة الطائر وأنها كانت جارية فى وقف الأمير عمر بن بهادر<sup>(٣)</sup>.

(١) توصلت لهذا الاستنتاج بما ورد فى كتاب الوقف السابق صفحات ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧ حيث جاء به عن أوقاف الغورى . . . وجميع الحصة السابقة فيما يذكر فيه وقد هذه الحصة ثلاثة أسهم كوامل وتسع سهم من أصل أربعة وعشرين سهماً شائعاً ذلك فى جميع الجزيرتين المتجاورتين وهما جزيرة الطائر المعروفة بجزيرة (ص ١٤٥) الذهب وجزيرة الطمية المعروفة بجزيرة الصابونى من أعمال الجزيرة بالقرب من روضة مصر وجامع المقياس، ولكامل أراضى جزيرة الذهب حدود أربعة يعم جميعها ماء النيل المبارك فى زمن زيادته الحد الأولى وهو القبلى ينتهى إلى بحر النيل المبارك فى أراضى الناحية المعروفة بدموه الجزيرة وحديثا والحد البحرى ينتهى إلى المقياس الذى بطرف روضة مصر والحد الثالث من حدود هذه الجزيرة وهو الشرقى ينتهى إلى بحر لطيف ينجز عنه الماء أحيانا فاصل بين هذه الجزيرة وبين الجزيرة المعروفة بالصابونى الآتى ذكرها فيه والحد الرابع وهو الغربى ينتهى بعضه إلى البحر الأعظم المذكور اعلاه وأما بعضه الباقى وهو نهاية القطعة الأرضى التى فى البر الغربى من جملة حقوق هذه الجزيرة التى يفصل بينهما وبين هذه الجزيرة البحر الأصلى ينتهى إلى أراضى ناحية ترسة وساقية مكة والجزيرة وفى كل هذه الحدود انحراف تشفير يسير ص ١٤٦ ولكامل جزيرة الصابونى المذكورة حدود أربعة أيضا فالحد الأول منها وهو القبلى ينتهى إلى البحر المذكور الذى كان ناحية دموه المذكورة والحد الثانى منها وهو البحرى ينتهى إلى مكان تجاه المقياس الشريف المذكور فيه والحد الثالث منها وهو الشرقى ينتهى إلى بحر لطيف تجاه الآثار الشريفة وجامع ابن اللبان وهذا البحر ينشف غالبا والحد الرابع منها وهو الغربى ينتهى إلى البحر اللطيف الذى ما بين حدها وحد جزيرة الذهب.

(٢) تقرير وزارة الأشغال.

(٣) المشترك وصفا والمفترق صقعا، طبعة جوتنجن، ألمانيا، ١٨٤٦م، ص ١٠٣.

أما عن تاريخ جزيرة الصابوني قبل اندماجها فقد كانت معروفة فى وثائق ومصادر العصر المملوكى باسم جزيرة الطمية<sup>(٤)</sup>، وقد قال عنها المقرئى : «هذه الجزيرة تجاه رباط الآثار والرباط من جملتها، وقفها أبو الملك نجم الدين أيوب بن شادى وقطعة من بركة الحبش فجعل نصف ذلك عنى الشيخ الصابونى وأولاده والنصف الآخر على صوفية بمكان بجوار قبة الإمام الشافعى رضى الله عنه يعرف اليوم بالصابونى»<sup>(٥)</sup>. وقد ظلت جزيرة الصابونى عامرة بموقعها هذا الذى حدده المقرئى حتى وقتنا هذا<sup>(٦)</sup>.

وكانت جزيرة الصابونى بيد الأمراء من الاسرة الأيوبية حتى أيام السلطان العزيز يوسف بن السلطان برسباى (تولى ٣ شهور بين سنتى ٨٤١، ٨٤٢هـ) حيث أنعم بها على الخليفة العباسى المعتضد بالله داود (٨١٦ - ٨٤٥هـ / ١٤١٣ - ١٤٤١م) فى يوم الأحد ١٤ ذى الحجة سنة ٨٤١هـ / ١٤٣٨م<sup>(٧)</sup> إلا أن السلطان الأشرف قايتباى قد أخرجها من أخيه الخليفة المستنجد بالله يوسف (٨٥٩ - ٨٨٤هـ / ١٤٥٤ - ١٤٧٩م) فى شهر ذى الحجة سنة ٨٧٢هـ / ١٤٧٦م واقطعها بعض ممالئكه وعد ذلك من مساوئه<sup>(٨)</sup>.

وفى وقت ما فى العصر العثمانى اندمجت جزيرة الذهب مع جزيرة الصابونى وعرفتا معا بجزيرة الذهب وظلت متنزها كبيرا والغالب عليها النشاط الزراعى حتى وقت قريب من زماننا هذا حيث بدأت أراضيها تتحول إلى مبان وعن قريب تصبح كلها مبان.

- 
- (١) القاموس المحيط، ج١، ص ٣٨٩. (٢) قوانين الدواوين، ص ١٢٦.
- (٣) ابن الجيعان (شرف الدين يحيى، ت ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م)، التحفة السنية بأسماء البلاط المصرية، (نشر مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٧٤)، ص ١٣٧، ١٤٣.
- (٤) كتاب وقف الغورى رقم ٨٨٢ أوقاف، ص ١٤٦، المقرئى، الخطط، ج٢، ص ١٨٦.
- (٥) المقرئى، الخطط، ج٢، ص ١٨٥.
- (٦) ذكر المرحوم الأستاذ محمد رمزى أن «جزيرة الصابونى كانت تقع بين دير الطين (دار السلام حاليا) وبين معادى الخيبرى (المعادى حاليا) وأنها اندثرت بفعل مياه النيل عليها، ثم ظهرت فى أيامه (أيام محمد رمزى) جزيرة جديدة عرفت باسم جزيرة دير الطين». انظر كتاب «محمد رمزى»، القاموس الجغرافى للبلاد المصرية (قسمان فى ٤ أجزاء)، (ط دار الكتب، ١٩٥٣ - ١٩٦٣)، القسم الأول، ص ٧٧.
- \* ولكن هذا الموقع الذى حدده «محمد رمزى» بعيد عن موقع الجزيرة، فهى مواجهة لأثر النسي كما ذكر المقرئى وكما وردت فى كتاب وقف الغورى فى ص ١٤٧، انها «تقع بالقرب من روضة مصر وجامع المقياس وأن حدها الشرقى ينتهى إلى بحر لطيف تجاه الآثار الشريفة وجامع ابن اللبان وحدها الغربى ينتهى إلى البحر اللطيف الذى بينها وبين جزيرة الذهب».
- \* ومن ذلك يتبين أن موقع جزيرة الصابونى أمام ساحل مصر القديمة أمام رباط الآثار وأنها لم تختف وإنما اندمجت مع جزيرة الذهب كما ذكرت أنفا وهى باقية فى مكانها للآن.
- (٧) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج١٥، ص ٢٢٧، ابن اياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ١٩٢.

وقد كان للأمير مراد بك<sup>(١)</sup> الذى شارك إبراهيم بك حكم وملك مصر قبيل وأثناء الحملة الفرنسية على مصر بستانا وقصرا كبيرا بالجزيرة كان كثير التردد إليه هو واتباعه<sup>(٢)</sup>.  
وبالنظر إلى خريطة الحملة الفرنسية نجدهم قد وقعوا جزيرة الذهب تحت اسم جزيرة ترسا نسبة لقرية ترسا المواجهة بالجيزة، وكانت جزيرة الذهب مدمجة فى ذلك الوقت مع جزيرة الصابونى.

## ثانياً : جزيرة الروضة

كانت جزيرة الروضة عروس المنتزهات على مر تاريخ مصر الإسلامى ، تنزه بها الخلفاء والملوك والسلاطين ورعاياهم ، بل استعملت كمقر للحكم فترة من الزمن ، وكانت طيبة المسكن وموطناً لأفراح الناس واحتفالاتهم وأعيادهم ، وجعلت مكان للاستشفاء ، وقد بلغت شأنًا عظيمًا فى القلوب حتى أن الأمام «السيوطى» قد أفتى فى شهر رجب ٨٩٦هـ / ١٤٩١م بأنه لا يجوز البناء على بر الروضة<sup>(٣)</sup> لأن الإجماع منعقد على منع البناء على شطوط الأنهار الجارية ، وكى تظل جزيرة الروضة بصفة خاصة مسرة للناظرين وكعبة المنتزهين .

## نشأتها وموقعها :

جزيرة الروضة هى أقدم الجزر النيلية بحدود القاهرة ، كانت موجودة قبل الفتح الإسلامى لمصر بخلاف الجزر الأخرى التى تكونت فى ظل الإسلام<sup>(٤)</sup>.

(١) مراد بك ، كان أصله من عماليك محمد بك أبو الذهب الذى اشتراه سنة ١١٨٢هـ / ١٧٦٨م وذلك فى اليوم الذى قتل فيه صالح بك الكبير ، فأقام فى الرق أياما قليلة واعتقه وأمره وأنعم عليه بالاقطاعات الجليلة وقدمه على أفرانه ، وتزوج بالسنت فاطمة زوجة الأمير صالح بك وسكن داره العظيمة بخط الكيش ، ولما مات على بك الكبير تزوج بسرته أيضا الست نفيسة ، ولما مات أبو الذهب اختار المماليك مكانه إبراهيم بك لحكم مصر فشاركه مراد بك فى المناصب والمشورة فى الحكم ، وكان مراد بك غير محمود السيرة أحدث كثيرا من المظالم حتى أنه كان من أعظم الأسباب فى خراب مصر كما يقول الجبرتى ، وكان منصرفا إلى الصيد والتنزه والتنقل بين القصور والبساتين التى أقامها أو آلت إليه بالروضة وجزيرة الذهب وقصر قايمز بالعادلية وقصر الجيزة وغير ذلك ، وقد كان قد قام بعمارة جامع عمرو سنة ١٢١٢هـ / ١٧٩٧م فى الصورة التى عليها الآن . وقد توفى مراد بك بسوهاج وهو قادم إلى مصر باستدعاء الفرنسيين له فدفن عند الشيخ العارف فى ٤ ذى الحجة ١٢١٥هـ / ١٨٠١م . انظر : الجبرتى ، عجائب الآثار ، ج٢ ، ص ٤٤٤ - ٤٤٥ .

(٢) الجبرتى ، نفس المصدر والجزء ، ص ٤٤٦ . (٣) ابن إياس ، بدائع الزهور ، ج٣ ، ص ٢٨٣ .

(٤) عن الوقت الذى تكونت فيه الجزيرة وأسباب تكوينها ، انظر : Discription de L'Egypte, Vol. 18, P.467, Casanova (p)., Essai de Reconstitution Topographique de la Ville d'al Foustat ou Misr, MIFAÓ XXXV (1913) P. 25. وصف مدينة القاهرة ، ص

Clerget (M)., Le Caire , I PP. 24 - 27 . ٣٣٤ - ٣٣٣

وهى تقع الآن فى القطاع الشرقى من مجرى النيل بين مصر القديمة ومدينة الجيزة وكانت تبدو فى بداية الحكم الإسلامى لمصر كأنها تتوسط نهر النيل أو كأنها للغرب أقرب حيث كان الفرع الشرقى للنيل كبيراً وانحسر بعد ذلك، وصارت الجزيرة فى العصر الفاطمى فى القطاع الشرقى للنيل وسيالة الروضة وصارت ضيقة جداً، وحافظت على ذلك الشكل حتى وقتنا الحاضر (١).

### شكلها ومساحتها:

لم يحدث تغيير كبير فى شكل الجزيرة وأطرافها الخارجى كما حدث فى جزر القاهرة الأخرى، ولكن كانت هناك تغييرات طفيفة وذلك لأن مياه النيل كانت تنحدر من طرفها الجنوبى لترسب فى طرفها الشمالى وتنحدر من طرفها الشرقى لترسب فى الجانب الغربى، كما كان هناك أجزاء من الجزيرة فى الجنوب والشرق تبلغ الربع تقريباً تطفى عليها المياه وقت الفيضان، وتنحسر عنها وقت التخريق، وظلت على هذا النحو حتى امتدت إليها يد الإنسان واستطاعت أن تبنى الحواجز الحجرية على سواحلها للتحكم فى عدم طغيان النهر عليها (٢).

ويصف «الإدريسى» الجزيرة فى زمنه (ت ٥٦٠هـ / ١١٦٥م) بأن طرفها الأعلى - حيث المقياس - ووسطها أعرض من رأسها والطرف الثانى محدود، ويذكر أيضاً الجزيرة فيقول «أن طولها من رأس إلى رأس ميلان وعرضها مقدار رمية سهم» (٣).

وتبلغ مساحة الجزيرة الآن ٣١٨ فدانا وهى مستطيلة الشكل تقريباً وطرفاها مديبان، ويبلغ متوسط طول الجزيرة من طرفها الشمالى (عند فندق ميرديان الآن) وبين طرفها الجنوبى عند المقياس ٣٢٠٠ متر تقريباً، كما أن عرضها فى وسط هذه المساحة من فرع النيل الشرقى إلى

(١) ذكر الباحث «عبد القادر عبد العزيز» فى ص ٢٨ من رسالته «استخدام الأرض فى الجزر النيلية بمحافظة القاهرة»: أن جزيرة الروضة كانت حتى أوائل حكم دولة المماليك تتوسط مجرى النيل.

\* ولكن ذلك الرأى متناقض كلام الرحالة الذين زاروا مصر زمن الدولة الفاطمية والدولة الأيوبية فعلى سبيل المثال ذكر «الإدريسى» المتوفى ٥٦٠هـ أى قبل إنتهاء الدولة الفاطمية «أن الفرع الغربى للنيل كان أكبر بكثير وأن عدد المراكب بالجسر عليه أضعاف مضاعفة لمراكب الجسر الشرقى». انظر: نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، ط ليدن، ١٨٦٤، ص ٣٢٣.

(٢) عبد القادر عبد العزيز، استخدام الأرض فى الجزر النيلية أمام القاهرة، ماجستير «غير منشورة» (كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٣) ص ٢٨. Nordon. Iravels in Egypt and Nubia, Vol. I. P. 47.

(٣) نزهة المشتاق، ص ٣٢٥.

\* والميل العربى يعرف أيضاً بالهاشمى ويفقد بـ ١٨٤٨ متراً. انظر: محمد كمال السيد، أسماء ومسميات، ص ٣٧، حاشية (١).

فرعه الغربى ٦٠٠ متر فى المتوسط (١).

## الاسماء التى أطلقت على جزيرة الروضة :

عرفت هذه الجزيرة فى أول الاسلام باسم الجزيرة، وجزيرة مصر (٢)، كما عرفت بجزيرة بابلينون حيث ورد ذلك الاسم فى أوراق البردى التى ترجع إلى ولاية قره بن شريك (٩٠ - ٩٦ هـ / ٧٠٨ - ٧١٤ م) والتى اكتشفت فى كوم اشقوه بأسيوط (٣)، وعرفت أيضا باسم جزيرة الصناعة لما أنشئ بها دار لصناعة السفن سنة ٥٤ هـ / ٦٧٤ م (٤) كما عرفت باسم جزيرة المقياس أو دار المقياس (٥) نسبة لمقياس النيل الذى بنى بها أولا سنة ٩٧ هـ / ٧١٥ م كما قيل لها جزيرة الحصن (٦) نسبة للحصن الذى اقامه بها أحمد بن طولون سنة ٢٦٣ هـ / ٨٧٦ م، كما عرفت أيضا باسم جزيرة القسطنطين (٧) لمواجهتها لمدينة القسطنطين .

وأخيرا عرفت باسم جزيرة الروضة نسبة للبستان الذى أنشأه الوزير الفاطمى الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى فى سنة ٤٩٠ هـ / ١٠٩٦ م فى شمال الجزيرة، وقد سماه الروضة (٨) فعمت التسمية على الجزيرة كلها بعد ذلك حتى وقتنا الحاضر .

وقد ذكر المؤرخون نقلاً عن ابن المتوج فى كتابه ايقاظ المتغفل واتعاظ المتأمل إنما سميت جزيرة مصر بالروضة لأنه لم يكن بالديار المصرية مثلها، وبحر النيل حائز ودائر عليها، وكانت حصينة وفيها من البساتين والثمار ما لم يكن فى غيرها (٩).

(١) تقرير وزارة الاشغال والموارد المائية، وأبعاد الجزيرة تقريبا ثابتة على مر الفترات فقد قدر «جومار» طولها بـ ٣١٥٠ متر وعرضها بـ ٧٥٠ متر. انظر : وصف مدينة القاهرة، ص ٣٣٤. أما «كريزول» فقد طولها بـ ٣٠٠٠ متر وعرضها بـ ٥٠٠ متر. Creswell, The Muslem Architecture of Egypt, 2 Vol. Oxford (1952 - 58) I, p. 85 ويذكر «محمد كمال السيد» أن مساحة الجزيرة تقرب من ٤٣٤ فدانا، انظر : أسماء ومسميات ص ٤٢٦ .

(٢) المقرئى، الخطط، ج٢، ص ١٧٨ .

(٣) أنور عبد العليم، البحرية الإسلامية فى شرق البحر المتوسط، مقالة بكتاب «تاريخ البحرية المصرية» (نشر جامعة الاسكندرية، ١٩٧٤)، ص ٣٤٧، إبراهيم العدوى، ولاية قره بن شريك على مصر فى ضوء أوراق البردى، بحث فى المجلة التاريخية المصرية، المجلد ١١، سنة ١٩٦١ م، ص ٦٣ .

(٤) القلقشندى، صبح الاعشى، ج٣، ص ٣٣٩ .

(٥) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص ٢٣، الادريسي، نزهة المشتاق، ص ٣٢٣ .

(٦) المقرئى، الخطط، ج٢، ص ١٧٨ .

(٧) الكندى (أبو عمر محمد يوسف، ت ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م)، الولاية والقضاة، (طبعة رفن كست، بيروت، ١٩٠٨)، ص ٧٨ .

(٨) المقرئى، الخطط، ج٢، ص ١٨١ .

(٩) المقرئى، الخطط، ج٢، ص ١٨١، القلقشندى، صبح الاعشى، ج٣، ص ٣٣٩، السيوطى، حسن =

## التطور العمراني للجزيرة قبل العصر المملوكي؛

بالرغم من النشاط الزراعي وانتشار البساتين بجزيرة الروضة منذ القدم إلا أنها كانت بحكم موقعها أمام مدينة الفسطاط عاصمة مصر عامرة بالسكان والعمران، بخلاف الجزر النيلية الأخرى التي كانت تستخدم للزراعة على وجه العموم، بالإضافة لكونها متزه العاصمة حيثئذ والمتزين والمتفرجين بها لا ينقطعون عنها لذلك فقد عمرت عمارة عظيمة منذ الفتح الإسلامي حتى وقتنا هذا.

وكان الجزء الجنوبي من الروضة أكثر تمييزاً بحكم الموقع ومواجهته لمصر القديمة حتى قبل الفتح الإسلامي، كما أنه كان عريضاً حيث أن الطرف الشمالي للجزيرة كان ضيقاً وأحدث نشأة كما هو ثابت جغرافياً أن الأطراف الشمالية من الجزر هي الأطراف النامية والمنخفضة في نفس الوقت لذا تمركز العمران في الجزء الجنوبي من الجزيرة في حين أن الطرف الشمالي للجزيرة كان هو المستغل في الزراعة والبساتين، بالإضافة لوجود الجسور الرابطة بين الجزيرة وكل من الفسطاط والجزيرة بالجزء الجنوبي منها<sup>(١)</sup>.

وقد كان لجزيرة الروضة دور في الأحداث التي صاحبت الفتح الإسلامي لمصر فقد كان بها القلعة تحصن بها الروم بقيادة المقوقس حاكم مصر حيثئذ بعد أن قطعوا الجسر الواصل بينهم وبين الشاطئ الشرقي للنيل، ولما انتصر جيش المسلمين بقيادة عمر بن العاص خرب أبراجها وأسوارها، وقد كانت هذه الأسوار مستديرة عليها<sup>(٢)</sup>.

## الجزيرة في زمن الدولة الأموية (٤١هـ - ١٣٢هـ / ٦٦١ - ٧٥٠م)؛

صار للجزيرة دور هام منذ بداية الدولة الأموية وذلك لأن والي مسلمة بن مخلد الأنصاري (٤٧ - ٦٢هـ / ٦٦٧ - ٦٨١م) أنشأ بها سنة ٥٤هـ / ٦٧٤م دار الصناعة<sup>(٣)</sup> التي

= المحاضرة، ج٢، ص ٣٧٧، كوكب الروضة (مخطوط) ورقة ٣، ٤، ١١.

\* وقد وردت كلمة الروضة في القرآن الكريم في الآية ١٥ من سورة الروم، وفي الآية ٢٢ من سورة الشورى.

\* ومن معاني الروضة هي البقعة التي يصبىها الماء فنبت فيها البقل والعشب. انظر: ياقوت الحموي،

معجم البلدان، ج٣، ص ٨٣ - ٩٦، السيوطي، كوكب الروضة، ورقة ٣، ٤.

(١) محمد عبد العزيز، جزيرة الروضة وأثارها الدراسة حتى نهاية العصر المملوكي، ماجستير «مخطوطة»،

كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٧٧) ص ٤.

(٢) ابن دقماق، الانتصار، ج٤، ص ١٠٩، المقرئ، الخطط، ج٢، ص ١٧٨، السيوطي، حسن

المحاضرة، ج٢، ص ٣٧٧، ابن ظهيرة، الفضائل الباهرة، ص ٩٧.

(٣) الصناعة ويقال لها دار الصناعة هي المكان المخصص لإنشاء وتعمير جميع السفن والمراكب الخاصة بأعمال الدولة سواء كانت حربية أو خاصة بركوب الخليفة أو الملك أو من المراكب التي تنقل الغلات السلطانية =

كانت تصنع بها السفن البحرية بنوعيتها الحربية والتجارية، وكذلك ازداد العمران بالجزيرة فبنيت بها الدور والقصور المشرفة على النيل في فترة حكم الوالى عبد العزيز بن مروان (٦٥ - ٨٥ هـ / ٦٨٥ - ٧٠٤م) الذى عين للجزيرة والى يتولى الحكم<sup>(١)</sup> بها نتيجة ذلك العمران، كما كان يوجد بالجزيرة فى أيامه فرقة من ٥٠٠ فاعل معدة لمقاومة أى حريق أو هدم يكون فى البلاد<sup>(٢)</sup>.

وكان بالجزيرة عدد كبير من الحوانيت ملكا للخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦ هـ / ٧٠٥ - ٧١٤م) لا سيما فى جزئها الجنوبي<sup>(٣)</sup>، وهذه الحوانيت دليل آخر على العمران الكبير الذى كانت عليه الجزيرة فى زمن الدولة الأموية.

= والأخشاب وغيرها، واطلاق لفظ الصناعة دون تخصيص على صناعة السفن منذ أوائل العصر الإسلامى يدل دلالة واضحة كما تقول د. سعاد ماهر على مبلغ اهتمام الدولة الإسلامية بالقوى البحرية ولذا فقد أصبحت الصناعة لديها تعنى فى المقام الأول صناعة السفن والاساطيل، وقد نقل الفرنجى دار الصناعة عن طريق الاسبان إلى لغاتهم فقال الاسبان Darcinah وأخذتها عنهم سائر اللغات الأوروبية وصارت الكلمة Arsenal، ثم عاد العرب فأخذوها عن الاسبان Iarsanah وظنوها تركية فعرّبوها إلى ترس خانة أو ترسانة. وأنشئت أول دار للصناعة السفن فى مصر فى العصر الإسلامى سنة ٥٥٤ هـ / ٦٧٤م فى عهد واليها مسلمة بن مخلد أثناء خلافة معاوية بن أبى سفيان وكان مقرها جزيرة الروضة على ساحلها الجنوبي الشرقى، وأحيانا كانت الصناعة على الساحل الغربى للجزيرة، فى ولاية محمد بن طنجح الاخشيد (٣٢٣ - ٣٣٤ هـ / ٩٣٤ - ٩٤٥م) نقل جزء من دار صناعة السفن من جزيرة الروضة إلى ساحل فسطاط مصر، وكان الساحل فى ذلك الوقت ينتهى إلى الطريق التى يمر بها اليوم شارع الديبورة شرق فم الخليج حيث كان يجرى فى زمن الدولة الاخشيدية تحت ذلك الشارع وفى أول حكم الدولة الفاطمية نقلت دار الصناعة إلى المقس حيث كان النيل يجرى فى المنطقة التى يشغلها اليوم ميدان رمسيس بجوار جامع أولاد عنان (الفتح حاليا)، ثم اعيدت الصناعة أيام الخليفة الأمر بأحكام الله الفاطمى (٤٩٥ - ٥٢٤ هـ / ١١٠١ - ١١٢٩م) إلى محلها السابق بساحل مصر حيث شارع الديبورة الآن، ولما طرح البحر وتكونت أرض جديدة بين شارع الديبورة وساحل أثر النبى الخالى بقم الخليج نقلت الصناعة إلى ساحل مصر تجاه دار النحاس (دير النحاس بجوار كوبرى الملك الصالح حاليا)، واستقرت مدة طويلة إلى أن نقلت إلى ساحل بولاق فى عهد محمد على باشا وعرفت باسم الترسانة.

المقريزى، الخطط، ج٢، ص ١٨٩ - ١٩٧، محمد رمزى، تعليقه على النجوم، ج٤، ص ٩٩ - ١٠٠، انور عبد العليم، البحرية الإسلامية فى شرق البحر المتوسط، ص ٣٤٦ - ٣٥٥ سعاد ماهر، البحرية فى مصر الإسلامية، (نشر الكاتب العربى للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧)، ص ٣١١ - ٣١٨.

Wiet, (G) Materiaux Pour un Corpus Inscriptionum, PP. 165 - 169.

(١) ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الله، ت ٢٥٧ هـ / ٨٧١م)، فتوح مصر وأخبارها تحقيق محمد صبيح، (القاهرة، ١٩٧٤)، ص ٧٦، المقريزى، الخطط، ج٢، ص ١٦١، السيوطى كوكب الروضة، مخطوط، ورقة ٢٠.

(٢) المقريزى الخطط، ج٢، ص ١٧٨، السيوطى، حسن المحاضرة، ج٢، ص ٣٧٨.

(٣) ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص ٩٦.

وفى فترة خلافة سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩ هـ / ٧١٥-٧١٧م) بنى أسامة بن زيد التتوخى عامل الخراج بمصر مقياس بها سنة ٩٧ هـ / ٧١٦م، وهو أول مقياس بينى فى الإسلام<sup>(١)</sup>.

### الجزيرة فى زمن الدولة العباسية (١٣٢-٦٥٦ هـ / ٧٥٠-١٢٥٨م) :

بالرغم من خلو المصادر من الأخبار عن جزيرة الروضة أيام ولانها من قبل الدولة العباسية إلا أن ذلك لا يعنى عدم الاهتمام بها، إلا أن أهم الأعمال التى خلدت جزيرة الروضة بناء مقياس النيل الحالى سنة ٢٤٧هـ / ٨٦٢م فى فترة خلافة الخليفة المتوكل على الله (٢٣٢-٢٤٧هـ / ٨٤٦-٨٦٢م) على يد واليه على مصر يزيد بن عبدالله التركى (٢٤٢-٢٥٣هـ / ٨٥٦-٨٦٢م)، وقد عرف هذا المقياس باسم المقياس الجديد تمييزا له عن مقياس أسامة<sup>(٢)</sup>.

وعندما استقل أحمد بن طولون بحكم مصر وأسس دولة مستقلة عن الخلافة العباسية استمرت ثمانية وثلاثين عام (٢٥٤-٢٩٢ هـ / ٨٦٨-٩٠٥م) وتوترت العلاقات بينه وبين الخلافة، وتحرك القائد العباسى موسى بن بغا سنة ٢٦٣هـ / ٨٧٧م فى زمن الخليفة المعتمد على الله ليحل محل ابن طولون ويكون واليا على مصر وجميع أعمال ابن طولون، لذا فقد أقام أحمد بن طولون حصنا منيعا بالجزيرة<sup>(٣)</sup> على انقاض وبقايا أبراج وأساسات الحصن الرومانى القديم<sup>(٤)</sup>، ليتخذها للدفاع ضد الجيش الذى يقوده ابن بغا وخصوصا وأن العاصمة آنذاك (مصر والفسطاط والقطائع) كانت بدون قلاع أو أسوار تحميها، وكان ذلك الحصن فى مأمّن استراتيجى إذ يحيط بها الماء من كل ناحية، وقد اجتهد ابن طولون فى بنائه وانفق عليه ثمانين ألف دينار ليكون معقلا له ولحريمه وذخائره<sup>(٥)</sup>، كما اجتهد ابن طولون فى بناء المراكب الحربية وأحاطها بالجزيرة حرصا منه فى الدفاع عن الفسطاط التى أدرك أنها عرضة للهجوم

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص ٢٩٤، المقرئى، الخطط، ج١، ص ٥٨، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٢، ص ٣١٠.

(٢) المقرئى، الخطط، ج١، ص ٥٨.

(٣) المقرئى، الخطط، ج٢، ص ٣٨٠، القلقشندي، صبح الاعشى، ج٣، ص ٣٣٩، السيوطى، حسن المحاضرة، ج٣، ص ٣٧٨.

(٤) كان القلقشندي دقيقا فى كلامه على بناء حصن ابن طولون حيث ذكر نقلا عن القضاء أن أحمد بن طولون «جدده الحصن الرومانى. انظر: صبح الأعشى، ج٣، ص ٣٣٩.

\* أى أنه استغل اساساته وأبراجه وأجزاء من أسواره كانت باقية أيامه، ويؤكد ذلك أقوال المؤرخين الذين أجمعوا على أن الحصن لم يستغرق بناؤه زمنا طويلا وإنما ستة أشهر فقط.

\* بالإضافة إلى ذلك نقول أن الحصون الرومانية بأسوارها وأبراجها كانت قوية ومتينة البنيان وكان من العناء محورها، وليس أدل على ذلك من وجود بعض الأبراج وأساسات الأسوار الخاصة بالحصن الرومانى المعروف بحصن بابليون بمارجرس بمصر القديمة والذى كان على سمت واحد مع حصن الروضة.

(٥) المقرئى، الخطط، ج٢، ص ١٨٠.

والاستيلاء عليها بسهولة من ناحية النيل فاتخذ ابن طولون مائة مركب حربية سوى ما أضيف إليها من المراكب الصغيرة الحجم وعمد إلى سد مداخل البحر المتوسط بهذه المراكب خشية الهجوم عليه بحرا عن طريق فرعى دمياط ورشيد (١).

وفى تلك الأثناء كان موسى بن بغا متباطئا ومتثاقلا فى حملته على مصر لعظم شأن ابن طولون وقوته، فلم يلبث ابن بغا أن مات سنة ٦٢٤هـ / ٨٧٨م فكفى الله ابن طولون شره (٢).

وقد ظل حصن ابن طولون عامرا أيامه وعملت فيه صناعة مصر التى تنشأ فيها المراكب الحربية واستمرت إلى أيام محمد طغج الأخشيد فنقلها منها (٣) وظل الحصن قائما حتى أخذه النيل شيئا بعد شيء (٤) وهدمه إلى بنى مكانه الصالح نجم الدين أيوب قلعته.

ومثلما استقل ابن طولون بحكم مصر، فعل نفس الشيء محمد بن طغج الأخشيد وأسس دولة استمرت أربع وثلاثين سنة (٣٢٣-٣٥٨هـ / ٩٣٥-٩٦٩م)، وفى سنة ٣٢٥هـ / ٩٣٦م أمر محمد بن طغج الأخشيد بنقل دار صناعة السفن من جزيرة الروضة إلى دار خديجة بنت الفتح بن خاقان زوجة أحمد بن طولون بساحل الفسطاط وأطلق عليها الصناعة الكبرى (٥)،  
نفسه.

(٢) سجل الشعراء أعمال ابن طولون هذه من بناء للحصن والمراكب فى قصائد بمناسبة حملة موسى بغا عليه، فقال الشاعر محمد بن داود وهو موال ومؤيد للخلافة العباسية ومتحاملا فى أشعاره على ابن طولون:

ولما ثوى بن بغا بالرقتين بلا	ساقبه زرقا إلى الكعيبين والعقب
بنى الجزيرة حصنا يستجن به	بالعسف والضرب والصناع فى تعب
وراقب الجيزة القصى فخذقها	وكاد يصعق من خوف ومن رعب
له مراكب فوق النيل راکدة	فما سوى القار للنظار والخشب
ترى عليها لباس الذل مذ بنيت	بالشط ممنوعة من عزة الطلب
فما بناها الغزو الروم محتسبا	ولكن بناها غداة الروع والعطب
وقال أيضا سعيد بن القاضى من أبيات له:	
وإن جئت رأس الجسر فانظر تأملا	إلى الحصن أو فاعبر إليه على الجسر
ترى أفرالم يبق من يستطبعه	من الناس فى بدو البلاد ولا حضر
مأثر تبلى وإن باد أهلها	ومجد يؤدى وارثيه إلى الفخر

انظر: المقرئى، الخطط، ج٢، ص ١٨٠-١٨١، السيوطى حسن المحاضرة، ج٢، ص ٣٧٨-٣٧٩.  
على مبارك، الخطط التوفيقية، ج١٨، ص ٧-٨.

(٣) المقرئى، الخطط، ج٢، ص ١٨١.

(٤) ابن دقماق، الانتصار، ج٤، ص ١٠٩، القلقشندى، صبح الأعشى، ج٣، ص ٣٣٩، ابن تغرى بردى، النجوم، ج٣، ص ١٢، السيوطى، حسن المحاضرة، ج٢، ص ٣٧٩، كوكب الروضة، ورقة ١٦.

(٥) المقرئى، الخطط، ج٢، ص ١٨١، السيوطى، حسن المحاضرة، ج٢، ص ٣٧٨، والجدير بالذكر هنا أن الساحل فى زمن دولة الأخشيد كان ينتهى إلى الطريق التى يمر فيها اليوم شارع الدبورة شرقى فم الخليج حيث كان مجرى النيل يمر فى ذلك المكان حينئذ. انظر: محمد رمزى، تعليقه على النجوم، ج٤، ص ٩٩-١٠٠.

وكان نقل الصناعة بسبب استراتيجي أمني فقد أراد الأخشيد أن لا يحول بينه وبين الصناعة نهر النيل وذلك لنجدتها إذا هاجمها مهاجم، وذلك لأن صناعة الجزيرة تعرضت لهجوم كبير من قبل الشوار الخارجين على الأخشيد واستيلائهم على الجزيرة وإحراقها سنة ٣٢٣هـ/ ٩٣٥م<sup>(١)</sup>، وقد أقام الأخشيد مكان الصناعة بستانا نزاها سماه المختار وعمر به قصرا مرتفعا<sup>(٢)</sup>.

وقد ذكر هذا البستان والقصر «المسعودي» كشاهد عيان في حديثه عن الاحتفال بليلة الغطاس في زمن الأخشيد في سنة ٣٣٠هـ/ ٩٤٢م<sup>(٣)</sup>، وصار الأخشيد يبستانه هذا وقصره يفاخر به أهل العراق، وكان ينتزه به هو وأسرته من بعده، وظل هذا البستان منتزها ملوكيا حتى أن الخليفة الفاطمي المعز لدين الله قد اتخذه منتزها له وكذلك فعل ابنه العزيز بالله<sup>(٤)</sup>.

### الجزيرة في زمن الدولة الفاطمية (٣٥٨ - ٥٦٧ هـ / ٩٦٩ - ١١٧١ م)؛

في زمن الخلافة الفاطمية تمتعت جزيرة الروضة بأهمية كبرى إذ أن الخليفة المعز لدين الله لما قدم إلى مصر سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٤م اتخذها منتزها له ولأولاده وخلفاءه من بعده وصارت الجزيرة مدينة عامرة بالناس لها وال وقاض حتى ذكرها المؤرخون المعاصرون كمدينة كبيرة

(١) المقرئ، الخطط، ج٢، ص ١٨١.

(٢) ابن دقماق، الانتصار، ج٤، ص ١١٦، المقرئ، الخطط، ج٢، ص ١٨١، السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص ٣٧٩.

\* وموضع بستان المختار الآن الجزء الجنوبي من جزيرة الروضة، فقد ذكر المقدسي «أن منتزه أمير المؤمنين عند الخليج (يقصد سيالة الروضة) بموضع يسمى المختارة.. ويلقى الخليج العمود (يقصد عمود المقياس) تحت الجزيرة عند المختارة. انظر: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط ليدن، ١٩٠٦، ص ٢٠٠.

\* وقد اعتقد المقدسي أن فرع سيالة الروضة خليج شقه بعض الخلفاء من ولد العباس فسميت تلك القطعة بالجزيرة. انظر: نفس المصدر، ص ١٩٨.

\* والمختارة هي كنيسة سمت بهذا الاسم نسبة إلى بستان المختار بجوارها.

\* وقد ذكر المؤرخون أن الملك الصالح نجم الدين أيوب خرب الهودج والبستان المختار عندما شرع في بناء قلعة الصالحية بالروضة والتي كانت تمتد من المقياس جنوبا إلى زاوية البسطامي شمالا.

\* وبناء على ذلك فإن موضع حصن بن طولون وموضع بستان المختار والقصر اللذين حلا محل الحصن يمتد الآن من زاوية البسطامي التي لا تزال تقع جنوب كوبري الملك الصالح بحوالي ١٢٠ متر حتى المقياس.

\* هذا وقد أطلقت مصلحة التنظيم على أحد شوارع هذه المنطقة اسم شارع المختار.

(٣) المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين، ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، (ط بيروت، ١٩٨٧)، ج١، ص ٣٤٤.

(٤) المقرئ، الخطط، ج٢، ص ١٨١، السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص ٣٧٩.

تقترن بالقاهرة ومصر فكان يقال «القاهرة ومصر والجزيرة»<sup>(١)</sup> كما كان للجزيرة سوق<sup>(٢)</sup> بما يدل على عمرانها الكبير في زمن الفاطميين، وقال عنها الرحالة «الإدريسى» المتوفى سنة ٥٦٠هـ/ ١١٦٥م «في هذه الجزيرة مساكن جلييلة ومباني متصلة على ضفة النيل وهذه الجزيرة تسمى دار المقياس»<sup>(٣)</sup>.

وعن العمران بالجزيرة نجد في فترة حكم الخليفة الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ/ ٩٩٦-١٠٢٠م) أن الأمير غبن<sup>(٤)</sup> قد عمر جامعا بالروضة به خطبة<sup>(٥)</sup> وهو أول المساجد الجامعة

(١) المقرئى، الخطط، ج١، ص ٣٣٩، السيوطى، حسن المحاضرة، ج٢، ص ٣٧٩.

(٢) ابن ميسر (تاج الدين محمد بن على، ت ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م)، المنتقى من أخبار مصر تحقيق أمين فؤاد سيد، (نشر المعهد العلمى الفرنسى للأثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨١)، ص ١١٠.

(٣) نزهة المشتاق، ص ٣٢٣.

(٤) غبن هذا كان أحد خدام الحاكم بأمر الله، وفى سنة ٤٠٢هـ رقاها إلى منصب قائد القواد وقلده الشرطتين والحسبة بمصر والقاهرة والجزيرة، ثم نكبه الحاكم سنة ٤٠٤هـ بقطع يده ولسانه، وحملت يده فى طبق إلى الحاكم، ثم أمر الحاكم بقتله سنة ٤٠٥هـ/ ١٠١٤م انظر: ابن دقماق، الانتصار، ج٤، ص ١١٥، المقرئى، الخطط، ج٢، ص ٣٩٧-٣٩٨.

\* ومن الطريف أنه قد عثر فى حفائر مدينة الفسطاط على جزء كبير من طبق خزفى كبير يحمل اسم غبن والقابه، وصار لهذا الطبق شأن كبير فى تاريخ القاهرة الأثرى والفنى كما كان لغبن شأن فى تاريخها السياسى. وعن هذا الموضوع بالتفصيل انظر: حسن الباشا بحث بعنوان «طبق غبن» فى كتاب القاهرة تاريخها وفنونها وأثارها، نشر مؤسسة الأهرام، ١٩٧٠، ص ٥٢١.

(٥) ظلت الخطبة بهذا الجامع إلى أن عمر جامع المقياس سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م فبطلت منه، فلما أنشأ الصاحب محبى الدين من الصاحب بهاء الدين بن حنا داره قبالة هذا الجامع بالكوم الأحمر بمبنيته المهرانى (بالقرب من فم الخليج الآن) طلب من والده أن يكلم السلطان الظاهر بيبيرس (٦٥٨-٦٧٦هـ/ ١٢٦٠-١٢٧٧م) فى إعادة الخطبة إليه ففعل ذلك، وصادف ذلك الطلب قبولا فى نفس الظاهر وذلك لأنه كان كثير التردد والتنزه بالجزيرة وإقامة الاستعراضات البحرية واللعب بالشواتى والمراكب فى النيل، بالإضافة لكثرة الخلق بالجزيرة ومشقتهم فى الذهاب إلى جامع المقياس بأخر الجزيرة، فأعيدت إليه الخطبة سنة ٦٦٠هـ مع استمرارها فى جامع المقياس، وكانت المباني قد كثرت من حوله حينئذ. انظر: ابن دقماق، الانتصار، ج٤، ص ١١٥، المقرئى، الخطط، ج٢، ص ٢٩٧، السيوطى كوكب الروضة، ورقة ٤٠.

\* وقد حل محل جامع غبن زاوية صغيرة بشارع محمد ذو الفقار بالمنيل شمال غرب كوبرى الملك الصالح بحوالى ١٥٠ مترا، وتعرف تلك الزاوية الآن باسم جامع الأباريقى لأن الشيخ أحمد الأباريقى (من أهل القرن السابع الهجرى) قد اتخذ من جامع غبن بالروضة خلوة له فدفن به فعرف بزواية الأباريقى، وفى سنة ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م بنى الأمير على باشا شريف أحد أمراء أسرة محمد على زاوية صغيرة بها ضريح الأباريقى وقد ذكر «على مبارك» أنه حين حفرت الأرض بقرب الزاوية لأخذ التراب منها ليرفع به أرض بستانه وجد كثيرا من قطع الرخام وأحواضا ومجارى وغير ذلك من الأشياء القديمة لجامع غبن. انظر الخطط التوفيقية، ج٨، ص ١٢، سعاد ماهر، مساجد مصر، ج٢، ص ٩٧-١٠١.

\* ويتكون جامع أو زاوية الأباريقى حاليا من مسجد بسيط مستطيل يتوسط جداره الجنوبي الشرقي محراب وفى الجانب الشمالى الغربى منه باب يدخل منه إلى حجرة مستطيلة المساحة اقتطع منها جزء مربع على =

بالروضة، وقد كثرت العمائر حوله حيثئذ، وهذا الجامع هو الذى أشار إليه الرحالة الفارسى «ناصر خسرو» عند زيارته مصر فى سنة ٤٣٧هـ / ١٠٤٥م فعند كلامه عن الجزيرة قال «والجزيرة غربى النيل وبها مسجد جمعة وحدائق وهى صخرة وسط النهر تقسمه قسمين»<sup>(١)</sup>.

وقد شهدت الجزيرة فى سنة ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م أحداثا سياسية خطيرة تأثرت مبانيها فيها مثلما حدث بالفسطاط والقاهرة فى الشدة المستنصرية، إذ حدثت فيها فتنة عظيمة بين طائفتى العبيد والترك المتصارعتين أيام الخليفة المستنصر بالله (٤٢٧ - ٤٨٧هـ / ١٠٣٥ - ١٠٩٤م) عقب الشدة العظمى واستولى العبيد فى تلك الأيام على الجزيرة واستمرت الحرب بينهما مدة<sup>(٢)</sup>.

ثم هدأت الأحوال بعد ذلك وعاد العمران للجزيرة لذا ففى سنة ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م تم بناء جامع فى النهاية الجنوبية للجزيرة بجوار المقياس من جهة الغرب سمي جامع المقياس على يد الوزير بدر الجمالى بعد ترميمه للمقياس<sup>(٣)</sup>.

---

= المستوى العلوى بأركانها أربع حنايا ركنية بسيطة أقيمت فوقها قبة، ويتوسط الحجرة مقام الشيخ الأباريقى، وكان الجامع والقبة مزخرفتين بالزخارف النباتية بالألوان الزيتية إلا أنها حجبت الآن بفعل طلاء حديث.

(١) ناصر خسرو علوى (ت ٤٥٣هـ / ١٠٦١م)، سفرنامه، ترجمة بحى الحشاب، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٤٥، ص ٦١.

(٢) المقرئى، الخط، ج١، ص ٣٣٧، السيوطى، كوكب الروضة، ورقة ١٨.

(٣) جدد هذا الجامع الملك الصالح نجم الدين أيوب، وقد زاد فى مساحته وجعل حوله سوراً وفى ١١ رجب سنة ٨٢٣هـ أمر السلطان المؤيد شيخ بهدم هذا الجامع وتوسيعه وتعميره على أحسن ما يكون ولكنه مات قبل إتمامه فأنعم من بعده السلطان الظاهر جقمق وأوقف عليه أوقافا كثيرة، كما عمره الأشرف فأنصروه الغورى وأوقف عليه أوقافا كثيرة. وقد قام علماء الحملة الفرنسية برفع الجامع هندسيا فكان مسقطه الأفقى مستطيل الشكل ويتكون من صحن أوسط مكشوف تحيط به ٤ ظللات، الظلة الجنوبية الشرقية تتكون من ثلاث بلاطات والمقابلة من بلاطتين، والظلة الجنوبية الغربية من بلاطة واحدة والمقابلة مثلها، وتلك الظللات مقامة على أربع وثلاثين عمودا وأربعة أكتاف بأركان الصحن، ومدخل الجامع بالجانب الشمالى الشرقى، وله شبابيك مظلة على النيل، وكان له مثذنة ارتفاعها وقت الحملة أربعة وعشرين مترا، وكان يتصل بالجامع سلالم موصلة إلى النيل عددها ثمانية عشر درجة وربما كانت تستخدم مقياسا للنيل وقد سجلت الحملة بعض النصوص الكتابية التى كانت بالجامع وكانت تحمل دعاء للخليفة المستنصر والوزير بدر الجمالى وتاريخ سنة ٤٨٥هـ، وفى زمن محمد على أقام المهندس الفرنسى باسكال كوست فى عام ١٢٣٥هـ / ١٨٢٠م مصنعا للبارود بالقرب من المقياس وأقد أدى انفجار المصنع فى عام ١٢٤٥هـ / ١٨٣٠م إلى تدمير الجامع، وفى سنة ١٨٥٠م أزال حسن باشا المناسترلى محافظ القاهرة آنذاك بقايا الجامع لقيم مكانه السلامك (الكوشك) الخاص بجلوس رجال السراية المسمى الآن قصر المناسترلى، وبنى بدلا منه مسجدا صغيرا شمال شرق المقياس. انظر: ابن دقماق، الانتصار، ج٤، ص ١١٥-١١٦، على مبارك، الخطط التوفيقية، ط ١٩٨٦ ج٢، ص ٢٧٨ - ٢٨٠، ج١٨، ص ١٣. محمد عبد العزيز، جزيرة =

ومن المتنزّهات الكبيرة التى أقيمت بجزيرة الروضة فى الدولة الفاطمية البستان الذى أقامه الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى بحرى (شمال) الجزيرة وقد سماه الروضة، وكان ذلك الوقت صارت الجزيرة كلها تعرف بالروضة<sup>(١)</sup>، وكان الأفضل كثير التردد على الجزيرة ويمضى إليها كل يوم فى مراكب النزهة المسماة العشاريات الموكبية إلى قتل سنة ٥١٥هـ/ ١١٢١م<sup>(٢)</sup> وكانت جزيرة الروضة فى ذلك الوقت أنزه بقع مصر ولم يكن فيها فى الديار المصرية بقعة تشاكلها لما كان فيها من البساتين والمناظر<sup>(٣)</sup>. وموقع بستان الروضة يحتله الآن مستشفى وكلية طب القصر العينى وكلية طب الأسنان.

كما أنشأ الخليفة الفاطمى الأمر بأحكام الله (٤٩٥ - ٥٢٤هـ/ ١١٠١ - ١١٢٩م)، مكانا (متنزها) بجوار البستان المختار سماه اليهودج<sup>(٤)</sup>، لمحبوته (زوجته) البدوية التى هام بها حبا وذلك لأنها كما ذكر المؤرخون «صعب عليها مفارقة ما اعتادت، وأحبت أن تسرح طرفها فى الفضاء ولا تقبض نفسها تحت حيطان المدينة فبنى لها البناء المشهور فى جزيرة الفسطاط المعروف باليهودج على شاطئ النيل فى شكل غريب»<sup>(٥)</sup>.

وقد أراد الأمر ببناء اليهودج هذا أن يقربها لبيتها التى اعتادتها، وظل الأمر يتردد على اليهودج للتنزه إلى أن قتل برأس الجسر الذى بين الفسطاط والروضة فى ذى القعدة سنة ٥٢٤هـ/ ١١٣٠م<sup>(٦)</sup>.

= الروضة، ص ٤٨ - ٥٠، عبداللطيف إبراهيم، دراسات تاريخية وأثرية فى وثائق من عصر الغورى، دكتوراة «غير منشورة»، (كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٥٦م) ج٢، ص ٥٠٦. Discription De. L'Egypte Vol XV, PP. 459 - 463. Wiet (G) Combe (E). Sauvaiget (J), " Repertoire Chronologique D'epigraphie Arabe I XVI Le Caire IFAO 1931 - 1964 VII 265 - 9 , No. 2794 - 6 Creswell, MAE I 219.

(١) السيوطى، كوكب الروضة، ورقة ٢٧.

(٢) ابن ميسر، المتقى من أخبار مصر، ص ٨٧، المقرئى، الخطط، ج٢، ص ١٨١.

(٣) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق١، ص ٢٧٠.

(٤) يمثل اليهودج الآن المنطقة التى تقع مواجهة لكوبرى الملك الصالح وإلى الجنوب منه بقليل لأنه كان مجاورا لبستان المختار وكان بستان المختار يقع بأخر الجزيرة، وقد خربهما الملك الصالح نجم الدين أبوب عند بناء قلعتة التى كانت تمتد من زاوية البسطامى شمالا حتى المقياس جنوبا. هذا ولا تزال زاوية البسطامى قائمة إلى اليوم بعد إعادة بنائها بشارع البسطامى وتقع على بعد ١٢٠ متر جنوب كوبرى الملك الصالح. وقد أخطأت مصلحة التنظيم حين أطلقت اسم اليهودج على أحد شوارع مصر القديمة انظر: محمد رمزى، مذكرة ببيان الأغلاط التى وقعت من مصلحة التنظيم، ص ١٣.

(٥) المقرئى، الخطط، ج٢، ص ١٨٢، ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق١، ص ٢٢١، ٢٧١.

(٦) ابن ميسر، المتقى من أخبار مصر، ص ١١٠، ابن سعيد، المغرب، ص ٨٩، المقرئى، الخطط، ج١، ص ٤٨٤، ج٢، ص ٣٨٠، ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق١، ص ٢٢٣. وعن قصة الخليفة الأمر مع البدوية ذكر المؤرخون أن الخليفة الأمر كان صغير السن متجاهرا بالمسكرات ومشتغلا بسماع الزمور =

= وشرب الخمر وانشغل عن أحوال المملكة وصار الناس في زمانه مثل الغنم بلا راع فاضطربت أحوال مصر كما ذكر «ابن إياس». وكان الخليفة الأمر متيما بحب البديويات، وكانت قصة تلك البدوية تشبه القصص الخالدة وتقصص ألف ليلة وليلة، فقد ذكر المقرئى نقلا عن القرطبي أن الخليفة الأمر قد ابتلى بعشقه الجوارى العربيات فكان يجتهد في طلبهن، ولما سمع عن تلك البدوية التي بالصعيد وأنها شاعرة بليغة رائعة الجمال والحسن تحيل لرؤياها بأن ذهب لحيها متخفيا بزى الأعراب ونزل ضيفا على أهلها وتحايل حتى رآها فعشقها فرجع إلى قصره بالقاهرة وارسل يخطبها من أهلها فوافقوه فتزوجها وحظيت عنده بأسمى منزلة، وكانت هذه البدوية قد ألفت تطلق الهواء وتسريح النظر في الفضاء والسماء فضاقت نفسها أن تكون حبيسة الجدران بالقصور فشكت للأمر فأنشأ لها بجوار البستان المختار مكانا يتفق مع طلبها اسماء الهودج، وكانت تلك البدوية متعلقة بابن عم لها يسمى ابن مياح فكتبت إليه وهي بقصر الخليفة الأمر:

يا ابن مياح إليك المشتكى  
كنت في حبي مرأ مطلقا  
فأنا الآن بقصر مؤصد  
كم تشنيننا بأغصان اللوا  
وتلاعبنا برملات الحمى  
فأجابه ابن مياح:

بنت عمى والتي غذيتها  
بحت بالشكوى وعندي ضعفتها  
مالك الأمر إليه يشتكى  
شأن داود غدا في عصرنا  
باليهوى حنى علا واحتنكا  
لو غدا ينفع منها المشتكى  
هالك وهو الذي قد هلكا  
مبديا بالتيه ما قد ملكا

فبلغت الأمر فقال: لولا أنه ساء الأدب في البيت الرابع لرددتها إلى حيه وزوجتها به وغضب الأمر على ابن مياح فهرب واختفى وطلبه الأمر فلم يصل إليه، وكان هناك شاعرا من بني طى اسمه طراد بن مهلهل فلما بلغه قضية الأمر مع العالمة البدوية قال:

ألا أبلغوا الأمر المصطفى  
قطعت الأليفين عن ألفة  
كذا كان أبواؤك الأقدمون  
مقال طراد ونعم المقال  
بها سمر الحسى بين الرجال  
سألت فقل لى جواب السؤال

فلما بلغ الأمر شعره قال جواب السؤال قطع لسانه على فضوله، وأمر بطلبه في أحياء العرب ففر ولم يقدر عليه، فقالت العرب: ما أخسر صفقة طراد باع أبيات الحى بثلاثة أبيات من الشعر، وتناقل الناس الأشعار وأخبار الأمر مع البدوية، المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ١٨٢، السيوطى كوكب الروضة، ورقة ١٦. وهذه القصة لها أصل مشابه من قبل حيث تزوجت ميسون بنت بجدل الكلبيّة معاوية بن أبي سفيان التي أنجبت له ابنه يزيد، وكانت قد برمت بحياة الترف وسكن القصور وحنّت إلى حياة البادية التي نشأت فيها فقالت الأبيات المشهورة منها:

لبيت نخفق الأرياح فيه  
ولبس عباءة وتغر عيني  
وأكل كسيرة في عقر بيتي  
أحب إلى من قصر منيف  
أحب إلى من لبس الشفوف  
أحب إلى من أكل الرغيف =

ك

وكان للفاطميين منظره (١) أعدت للترهة تسمى المشتهى ذكرها المقرئزى (٢) لكنه لم يحدد مكانها ولا تاريخها ، ولكن «ابن دقماق» عين موضعها فذكر أنها فى طرف الروضة تجاه الجامع الناصرى ولكن لا يوجد فى نص «ابن دقماق» من قام بإنشائها وفى أى سنة بنيت (٣) ، ولكن بالرجوع إلى «ابن ميسر» فى كتابه المتقى من أخبار مصر نرى أن المشتهى تعود إلى ما قبل سنة ٤١٥هـ / ١٠٢٤م ذكر فى حوادث شهرى صفر وجمادى الأولى سنة ٤١٥هـ ، أن الخليفة الظاهر (٤١١ - ٤٢٧هـ / ١٠٢٠ - ١٠٣٥م) ركب إلى المشتهى بجزيرة الروضة (٤) .

ومنظره المشتهى حل محلها فى العصر المملوكى رباط (٥) سعى رباط المشتهى أقام به أحد اعلام الصوفية فى زمنه وهو الشيخ الكازرونى (٦) وقد دفن به وعرف قبره فى العصر العثمانى باسم زاوية الشيخ الكازرونى ، وحتى الأربعينات من هذا القرن كانت الزاوية موجودة على خريطة القاهرة للآثار الإسلامية بأول شارع جامع قايتباى إلا أنها أزيلت بعد ذلك .

« و كلب ينبع الطراق دونى  
وخرق من بنى عمى نحيف  
أحب إلى من قط ألوف  
أحب إلى من عالج عنوف

وسمها معاوية تقول هذه الأبيات أو نقلت إليه فقال : ما رضيت بنت بجدل حتى جعلتني علبا عنوقا ، هى طالق ثلاثا ، دعوها تأخذ ما فى القصر فهو لها ، ثم سيرها إلى أهلها بنجد وكانت حاملا بيزيد فولدته وأرضعت ستين ثم أخذها معاوية . انظر : محمد كمال السيد ، أسماء ومسميات ، ص ٤٣٥ .

(١) المنظره ما هى إلا قصر كامل المرافق والمشمات كان الخلفاء الفاطميون ينتزهون به يومى السبت والثلاثاء من كل أسبوع ويقومون بتوزيع الصدقات والمآكل على الفقراء . السيوطى ، كوكب الروضة ، ورقة ٢٧ .

(٢) المقرئزى ، المخطوط ، ج١ ، ص ٤٩٠ ، السيوطى ، كوكب الروضة ، ورقة ٢٦ .

(٣) ورد النص كالتالى «زاوية المشتهى عمرها . . فى سنة . . وهى فى طرف جزيرة الروضة تجاه الجامع الناصرى . الانتصار ، ج٤ ، ص ١١٦ . الجامع الناصرى كان يقع على النيل فى المنطقة التى بها أول شارع السكر والليمون جنوب قناطر مجرى العيون بقم الخليج بمصر القديمة بالقاهرة .

(٤) ابن ميسر ، المتقى من أخبار مصر ، ص ٢٣ ، ٤١ ، ٤٥ .

(٥) الرباط هو نوع من الأبنية العسكرية كان يسكنه المجاهدون الذين يدافعون عن حدود الإسلام بحد السيف ، وكانت الأريطة منتشرة فى صدر الإسلام قبل أن يتشر الدين ويستب الأمن وتأمين الدولة الإسلامية على حدودها ، وقد كانت فى تصميمها تشبه التحصينات الحربية فمعظمها عبارة عن أبنية مستطيلة الشكل وفى أركانها أبراج للمراقبة ، ولما زالت عن تلك الأريطة صفتها الحربية أصبحت بيوتا للتحف والشعب والعبادة نسكنها الصوفية . انظر : المقرئزى ، المخطوط ، ج٢ ، ص ٤٢٧ ، سعد ماهر ، مساجد مصر ، ج١ ، ص ٤١٣ .

(٦) الكازرونى هو بهاء الدين محمد بن عبدالله الكازرونى الذى قدم إلى مصر فصحب الشيخ أحمد الجزرى صاحب الشيخ ياقوت تلميذ أبى العباس المرسى وزوج ابنته ، وانقطع بعده فى المشتهى من الروضة وكان الناس يترددون إليه ويعتقدونه ، وكان أعجوبة فى جذب الناس إليه ، وقد توفى ليلة الأحد ٥ ذى الحجة ٧٧٤هـ / ١٢٧٣م ودفن بزاويته بالروضة انظر : المقرئزى ، السلوك ، ج٢ ، ص ٢٠٩ ، ابن حجر العسقلانى ، الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، (ط حيدرآباد ، ١٣٤٨هـ / ١٣٥٠هـ ، ج١ ، ص ٤٩ .

وذكر ابن دقماق أيضا زاوية تعرف بزاوية المنتهى ولكنه لم يذكر القائم على تعميرها وزمن بنائها<sup>(١)</sup>، ويبدو أنها قد اقيمت في العصر المملوكي محل إحدى المناظر الفاطمية.

ومن أخبار الجزيرة أيضا في العصر الفاطمي أنه في سنة ٥١٦هـ / ١١٢٢م نقل الوزير المأمون البطائحي إنشاء الشواني وغيرها من المراكب النيلية من صناعة الجزيرة إلى الصناعة التي بساحل مصر<sup>(٢)</sup>.

=ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج١١، ص ١١٥، ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق١، ص ١١٤ وقال المقرئ عن الرباط «ولله در شيخنا العارف بالله الأديب شهاب الدين أحمد بن أبي العباس الدمنهورى حيث يقول:

بروضة المقياس صوفية      هم منية خاطر والمشتهى  
لهم على البحر أباد علت      وشيخهم ذاك له المنتهى

وقال العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن الصائغ الحنفى:

بالبله مرت بنا حلوة      أن رمت تشبيها لها عبتها  
لا يبلغ الواصف فيوصفها      حدا ولا يلغى له منتهى  
بت مع المعشوق فى روضة      ونلت من خرطومته المشتهى

الخطط، ج٢، ص ٤٢٩. وقد ذكر السيوطى أنه قد سكن بالقرب من المنتهى من الصوفية سيدنا محمد وفا الأكبر والد أهل البيت الوفائى واستمر أبناءه من بعده. السيوطى، كوكب الروضة، ورقة ١٦. أما الرحالة النابلسى الذى زار مصر سنة ١١٠٥هـ / ١٦٩٣م فقال: «وزرنا قبر الشيخ الكازرونى صاحب الحاشية المشهورة فى تفسير البيضاوى فى قبة هناك على الطريق. الحقيقة والمجاز، ص ٢٣٦. وتقول د. سعاد ماهر أن المقرئى سُمى الزاوية باسم الرباط مما يدل على أنها كانت بناء كبيرا يشتمل على مجموعة من الغرف للمريدين والمنقطعين للعبادة من الصوفية للتلمذ على يدي شيخنا الكازرونى». مساجد مصر، ج٣، ص ٣١٠.

أما على مبارك فيذكر «أنه فى زمنه (سنة ١٢٩١هـ / ١٨٧٤م) أن الزاوية المشهورة بزواية الكازرونى موقعها غربى سراى الخديو إسماعيل، وبنيتها سعادة والدة الخديو المذكور وأقام بها الشيخ على القشلاق أحد رجال الطريقة القادرية ومعه سبعة دراويش ورتبت بها مولدا سنويا». الخطط التوفيقية، ج١٨، ص ١٤. وذكر المرحوم محمد رمزى، أن زاوية الكازرونى باقية أيامه (ت ١٩٤٥م) وهى مقامة الشعائر بشارع الكازرونى بجزيرة الروضة. تعليقه على النجوم، ج١١، ص ١٢٥.

أما عن مصير هذه الزاوية فقد أزيلت فى الأربعينات من هذا القرن لانفاذ شارع جامع قايتباى وكان موضعها فى نهاية شارع عبده بدران المتفرع من شارع النيل بالقرب من محطة أتوبيس الباشا حاليا. هذا ويوجد بالروضة الآن شارع متفرع من شارع النيل يتجه غربا على ناصية سينما جرين واسمه شارع قصر المنتهى، وهذا الموقع بعيد عن موقع زاوية المنتهى (الكازرونى).

(١) الانتصار، ج٢، ص ١١٦.

(٢) ابن ميسر، المنتهى من أخبار مصر، ص ٩٣، المقرئى، الخطط، ج١، ص ٤٨٢.

وفى شهر شعبان ٥٦٦هـ / ١١٧٠م اشترى الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب جزيرة الروضة وظلت فى ملكه إلى أن أمره السلطان صلاح الدين الأيوبي بالقدوم إلى الشام فلما تحقق للمظفر أنه لم تكتب له العودة إلى مصر أوقف الجزيرة بكاملها على مدرسته المعروفة بالمدرسة التقوية التى كانت تعرف قديما بمنازل العز، وعلى مدرسة أخرى بالفيوم ثم سار إلى مملكة حماه حيث تولى الحكم بها (١).

### جزيرة الروضة فى زمن الدولة الأيوبية (٥٦٧-٦٤٨هـ / ١١٧١-١٢٥٠م):

ظلت الجزيرة منتزها كبيرا فى زمن الدولة الأيوبية (٢)، كما ظلت وفقا على المدرسة التقوية بمصر حتى ولى الحكم الملك الصالح نجم الدين أيوب (٦٣٧-٦٤٧هـ / ١٢٣٩-١٢٤٩م) فأستأجر الجزيرة من القاضى المعروف بابن السكرى مدرس المدرسة التقوية ومباشر أوقافها وذلك لمدة ستين سنة (٣).

وأقام الملك الصالح بالجزء الجنوبي من الجزيرة بجوار المقياس قلعته التى عرفت باسم قلعة المقياس أو قلعة الروضة أو قلعة الجزيرة أو القلعة الصالحية، أو قلعة جزيرة الفسطاط (٤) وقد

(١) ابن دقماق، الانتصار، ج٤، ص ١٠٩-١١٠، المقرئى، الخطط، ج٢، ص ١٨٤-١٨٥، السيوطى، حسن المحاضرة، ج٢، ص ٣٨٠، كوكب الروضة، ورقة ١١.

وعن منازل العز ذكر كل من المقرئى وابن دقماق « أن منازل العز قد بنتها السيدة تغريد أم الخليفة العزيز بالله بن المعز، ولم يكن بمصر أحسن منها وكانت مطلة على النيل ولا يحجبها شيء عن منظره، ثم صارت معدة لتزفه الخلفاء، فلما زالت الدولة الفاطمية نزلها الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب مدة ثم اشتراها والحمام والاصطبل المجاور لها من بيت المال فى سنة ٥٦٦هـ / ١١٧٠م كما اشترى جزيرة الروضة فلما أراد الخروج من مصر أوقف منازل العز على فقهاء الشافعية ووقف عليها الحمام وما حولها، وعرفت منازل العز حينئذ بالمدرسة التقوية نسبة إلى تقي الدين عمر، وكانت عامرة أيام المقرئى. انظر: الخطط، ج١. المقرئى، الخطط، ج١، ص ٤٨٤، ج٢، ص ٣٦٤، ابن دقماق، الانتصار، ج٤، ص ٩٣ وموقع منازل العز الآن منطقة واقعة على شاطئ النيل بمصر القديمة ومحلها الآن مجموعة المباني التى تحدهم الغرب بشارع كورنيش النيل ومن الجنوب والشرق شارع المرحومى ومن الشمال شارع القبوة. أما المدرسة التقوية فقد أقيم موضعها اليوم جامع شهاب الدين أحمد المرحومى الذى يتوسط هذه المنطقة بشارع المرحومى بمصر القديمة انظر: على مبارك، الخطط التوفيقية، ج١، ص ٧١، ٧٢، محمد رمزى، تعليقه على النجوم، ج٥، ص ٣٨٦، عبد الرحمن زكى، موسوعة مدينة القاهرة، ص ٣٧٠، Casanova, Op. Cit. P. 105.

(٢) انظر: ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم)، مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب، تحقيق حسنين ربيع، (القاهرة، ١٩٧٢، ١٩٧٧، ج٥، ص ٢٧٨، السيوطى، كوكب الروضة، ورقة ١٢-١٣، ابن تغرى بردى، النجوم، ج٦، ص ٣٢٠.

(٣) ابن دقماق، الانتصار، ج٤، ص ١١٠، المقرئى، الخطط، ج٢، ص ١٨٥.

(٤) المقرئى، الخطط، ج٢، ص ١٨٣، ٢٩٧، السيوطى، كوكب الروضة، ورقة ٣١، حسن المحاضرة، ج٢، ص ٣٨١.

بناها لتكون قصرا ومقرا للحكم وحصنا له وللمالكة الذين أكثر من شرائهم حتى ضاقت بهم القاهرة وصاروا يشوشرون على الناس وينهبون الأسواق<sup>(١)</sup> فكثرت شكوى الناس منهم فاضطر الملك الصالح لبناء القلعة لهم على بحر الروضة فسموا البحرية نسبة لذلك، ومالبثوا غير شهر قليلة من نهاية حكم الصالح إلا وقد أزالوا دولة الأيوبيين وكونوا دولتهم المملوكية، كما ذكر المؤرخون سببا آخر لبناء القلعة وهو حب الصالح للعمارة وإنشائه لعمارات عظيمة كان يشرف عليها بنفسه لذا فقد بنى هذه القلعة لتخلد اسمه فى التاريخ<sup>(٢)</sup>.

وكانت القلعة تقع فى الجزء الجنوبى من جزيرة الروضة<sup>(٣)</sup>، وكان موقعها هذا موفقا من الناحية الاستراتيجية لكونها تقع بجزيرة يحيط بها نهر النيل من جميع النواحي مما جعلها فى وضع أفضل من الناحية الدفاعية، وقد شرع فى حفر أساسات القلعة فى ٥ شعبان سنة ٦٣٨ هـ وابتدأ البناء يوم ١٦ من هذا الشهر<sup>(٤)</sup>، وفى العاشر من ذى القعدة بدأ الهدم فى الدور والقصور والمساجد التى بموضعها، كما هدمت كنيسة اليعاقبة<sup>(٥)</sup> كانت بجوار المقياس

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق١، ص ٢٦٩.

(٢) المقرئى، السلوك، ج١، ص ٣٠١، ٣٤١.

(٣) كانت هذه القلعة تقع بنهاية جزيرة الروضة فيما بين زاوية البسطامى شمالا حتى المقياس جنوبا، ويتضح ذلك من وصف المؤرخين وكتاب وصف مصر، فقد ذكر السيوطى<sup>(٤)</sup> عن زاوية البسطامى أنها بنيت فى مكان برج الطراز أول أبراج القلعة من جهتها الشمالية، وعلى ذلك يتضح أن القلعة كانت تشغل من الأرض مساحة حوالى ٦٥ فدانا واقعة فى الجزء الجنوبى من جزيرة الروضة، ومكانها المنطقة التى تحد من الشمال بشارع الملك المظفر وشارع البسطامى ومن الغرب نهر النيل ومن الجنوب قصر المناسترلى ومقياس النيل ومن الشرق سيالة الروضة. انظر: محمد رمزى، تعليقه على النجوم، ج٦، ص ٣٢٠.

(٤) المقرئى، الخطط، ج٢، ص ١٨٣، السلوك، ج١، ص ٣٠١.

(٥) اليعاقبة نسبة لمن يتبعون المذهب يعقوبى أحد المذاهب الدينية المسيحية، فقد كانت الامبراطورية البيزنطية قد عقدت عدة مجمعات دينية لمناقشة أمور الدين المسيحى والتى من أهمها طبيعة المسيح عليه السلام، ومن أهم المجمعات مجمع خلقدونيا الرابع سنة ٤٥١ م والذى تمخض عن خلاف كبير بين كنيسة الاسكندرية المصرية والكنيسة البيزنطية حول طبيعة المسيح إذ أن الكنيسة المصرية اعتقدت بأن السيد المسيح جوهر من جوهرين وقنوم من قنومين وطبيعة من طبيعتين ومشينة من مشيتين وقد سُمى اتباع هذا المذهب اليعاقبة نسبة إلى يعقوب وهو أما ديسقورس بطرق الاسكندرية صاحب هذا المذهب حيث كان يسمى يعقوب من قبل، أو هو يعقوب أحد تلاميذه، أو يعقوب البرادعى تلميذ ساويرس بطرك انطاكية وكان أهم الزهاد المتمسكين بهذا المذهب.

أما الكنيسة البيزنطية فاعتقدت أن المسيح جوهران وطبيعتان ومشيتان وقنوم واحد، وقد سُمى اتباع هذا المذهب بالمكثانيين نسبة إلى ملك بيزنطة الذى اعتقده وقد اتخذ المصريون من هذا الخلاف العقائدى متنفسا لهم لإعلان سخطهم واستيائهم من الحكم البيزنطى فتأجج الصراع بينهما. انظر: المقرئى، الخطط، ج٢، ص ٤٨٨ - ٤٨٩. وعن هذا الموضوع انظر: حسنين ربيع، دراسات فى الدولة البيزنطية.

أما عن كنيسة اليعاقبة هذه التى كانت بجزيرة الروضة وكان بابها أمام باب مسجد المستنصر بالله الفاطمى بجوار المقياس فهى قديمة وترجع إلى ما قبل الاسلام، وقد ذكر المؤرخون أنها تنسب إلى ابن لقلق بطرك اليعاقبة وكان بها بئر مالحه وقد كان من عجائب مصر أن فى وسط النيل جزيرة يتوسطها بئر مالحه، وقد =

وأدخلت أرضها في أرض القلعة، كما خرب اليهودج والبستان المختار وذكر المؤرخون أنه كان بموضع القلعة أشجار ونخل وجميز فقطع منها نحو ألف نخلة مثمرة كان رطبها يهدى إلى ملوك مصر لحسن منظره وطيب طعمه وكذلك قطع أربعمائة جميزة، كما ذكروا أنه هدم ثلاثة وثلاثين مسجدا عمرها خلفاء مصر وسراة المصيرين<sup>(١)</sup>، وان كان يبدو على هذا العدد المبالغة إلا أنه يعبر عن مدى عمران الجزيرة آنذاك .

وقد بالغ الصالح في اتقان بناء القلعة وزخرفتها، وقد بناها بالجص والآجر والنورة وأنفق عليها أموالا طائلة وكان الملك الصالح يشرف بنفسه عليها «فصارت تدهش من كثرة زخرفتها وتحير الناظرين إليها من حسن سقفوها المزينة وبديع رخامها»<sup>(٢)</sup>.

وكانت مساحة القلعة خمسة وستين فداناً وقد استغرق بنائها ثلاث سنوات أى تمت سنة ٦٤١هـ / ١٢٤٣م<sup>(٣)</sup> وظلت عامرة أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب وأقام بها هو وأسرته وماليكه الألف وقيل الثمانمائة، وقد اهتم بتحسينها، وأثناء ذلك جدد جامع المستنصر، وقد غرس فيها من جميع الأشجار ونقل إليها الأعمدة من المعابد المصرية القديمة وشحنها بالأسلحة والآت الحرب وكل ما يحتاج إليها من الغلال والمؤن<sup>(٤)</sup> فى ذلك الوقت الذى شهد صراعا كبيرا مع الصليبيين، وقد جعل حول القلعة شوانى (مراكب) حربية مشحونة بالسلح ومعدة لقتال الفرنج واقفة عند الصنائة التى اختطها بالجزيرة وجعل بها عمائر المراكب الحربية والنيلية<sup>(٥)</sup>.

= كان الرهبان المقيمين بالكنيسة يتولون أمر قياس النيل حتى بنى المتوكل المقياس الحالى فأمر بأن يكون مقياس النيل بأيدي المسلمين وأسند تلك المهمة لابن أبي الرداد ثم توارثها أبناؤه من بعده وقد تعرضت الكنيسة للهدم أثر زلزال عنيف أيام البطرك مقار الذى عين بطريكاً على اليعاقبة فى سنة ٤٩٢هـ / ١٠٩٩م، ثم رمت الكنيسة بعد ذلك، وقد جعل البطريك كيرلس الثانى مقر البطريكية فى هذه الكنيسة فترة من الزمن، وكان لهذه الكنيسة بستان وقاعات وجواسق مظلة على النيل، وقد عرفت الكنيسة بأسم كنيسة ميخائيل المختارة أو كنيسة المختار نسبة لبستان المختار، وكانت منتزها كبيرا فى زمن الدولتين الفاطمية والأيوبية، وكان الاهتمام بها كبيرا، وقد ظلت قائمة حتى هدمها الملك الصالح وأدخل أرضها فى داخل القلعة .

موقع هذه الكنيسة الآن المنطقة التى تقع أمام مدخل قصر المناسرتلى بجوار المقياس انظر: ابن المقفع، تاريخ بطارقة الكنيسة المصرية، ج٢، ص ٢١٠، ٢٢٠، ج٣، ص ٥، ٦، ج٤، ص ٧٧. ابن فضل الله العمري، الفيض المديد فى أخبار النيل السعيد، مخطوط، ص ٤٧، المقرئى، الخطط، ج٢، ص ١٨٣، ٤٩٦، ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق ١، ص ٢٧٠ .

(١) ابن دقماق، الانتصار، ج٤، ص ١١٠، المقرئى، الخطط، ج٢، ص ١٨٣، السيوطى، حسن المحاضرة، ج٢، ص ٣٨٢ .

(٢) المقرئى، الخطط، ج٢، ص ١٨٣، السيوطى، حسن المحاضرة، ج٢، ص ٣٨٢ .

(٣) المقرئى، نفس المصدر والصفحة، نفس المصدر والصفحة .

(٤) المقرئى، نفس المصدر والصفحة .

(٥) ابن المقفع، تاريخ بطارقة الكنيسة المصرية، ج٤، ص ١١٧، ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق ١، ص ٢٧٠ .

ولما أتم الملك الصالح عمارة القلعة انشد الشعراء أشعارا تخلد تلك الأعمال منهم الشاعر علم الدين أيدير الحموى الذى نظم قصيدة طويلة يمدح فيها السلطان ويذكر فيها القلعة ويصف الاحتفالات بالمقياس وهى قصيدة طويلة نقلها «ابن دقماق»<sup>(١)</sup>.

أما الرحالة الأديب الأندلسى «ابن سعيد» فقد ذكر الروضة وخص منها قلعة وأعمال الصالح بها بالوصف والمدح فقال «هى أمام الفسطاط فيما بينها وبين مناظر الجزيرة، وبها مقياس النيل وكانت متنزها لأهل مصر فاخترها الصالح بن الكامل سرير السلطنة وبنى فيها قلعة مسورة بسور ساطع اللون محكم البناء على السمك لم ترعنى أحسن منه»<sup>(٢)</sup>.

وقال أيضا «وكنت أشق فى بعض الليالى بالفسطاط على ساحلها فيزدهينى ضحك البدر فى وجه النيل أمام سور هذه الجزيرة الدرى اللون، ولم انفصل عن مصر حتى كمل سور هذه القلعة وفى داخله من الدور السلطانية ما ارتفعت إليه همة بانيتها وهو من أعظم السلاطين همة فى البناء، وأبصرت فى هذه الجزيرة إيوانا جلوسه لم ترعنى مثاله ولا أقدر ما أنفق عليه وفيه من صفائح الذهب والرخام والأبنوس والكافورى والمجزع ما يذهل الأفكار ويستوقف الأبصار، ويفصل عما أحاط به السور أرض طويلة وفى بعضها حاطر حطر به على أصناف الوحوش التى يتفرج عليها السلطان وبعدها مروج ينقطع فيها مياه النيل فينظر بها أحسن منظر»<sup>(٣)</sup>.

وفى هذه السطور رسم لنا ابن سعيد صورة جميلة لجزيرة الروضة والقلعة الصالحية فعلى الرغم من اتجاه الصالح لجعلها حصنا منيعا إلا أنه أضاف إليها السمات الجمالية وجعلها متنزها حسنا عظيما وألحق بها حديقة للحيوان ومروجا خضراء تسر الناظرين.

هذا وقد كان لبناء القلعة فى القسم الجنوبي من الروضة أثر كبير فى اتساع عمران الروضة فى جزئها الشمالى إذ تحول ساكنوا الجزء الجنوبى إليه، وكذلك عمر الشاطئ الشرقى للنيل فى الجزء المواجه للقلعة عمارة كبيرة آنذاك حيث بنى الأمراء منازلهم ليكونوا على مقربة من قلعة السلطان فعظمت عمارة الفسطاط على النيل (مصر القديمة) وانتقل إليها كثير من الأمراء وضخمت أسواقها واستجدت أسواق أخرى لمجاورتها للجزيرة وقلعتها الصالحية ولخدمة الأجناد بها<sup>(٤)</sup>.

وقد بقيت من القلعة الصالحية بقايا القاعات والعمائر التى قام بها الملك الصالح نجم الدين

(١) الانتصار، ج٤، ص ١١٠ - ١١٤.

(٢) المقرئى، الخطط، ج٢، ص ١٨٣.

(٣) نفسه، ص ١٨٣، ١٨٤.

(٤) ابن سعيد، المغرب فى حلى المغرب، ص ٢٧.

أيوب سجلتها الحملة الفرنسية منها قاعة رئيسية أبعادها ١٤ر٦٠ × ١٢ر٧٠ متر يتوسطها قبة كانت مقامة على أربعة أكتاف وحول القاعة أبنية مختلفة الأحجام أغلبها كان متخربا<sup>(١)</sup>.

وكذلك رأى الرحالة بوكوك الذي زار مصر في القرن الثامن عشر بقايا جدران من الطوب الأحمر ارتفاعها عشرة أقدام عبارة عن أبراج غير كاملة الاستدارة من بقايا القلعة<sup>(٢)</sup>.

وقد قامت لجنة حفظ الآثار العربية بعمل حفائر بجوار المقياس سنة ١٩٣٥م اكتشف «كامل غالب» فيها بقايا جدران وأرضيات حجرية كبيرة الحجم كانت تخص القلعة<sup>(٣)</sup>.

### تاريخ الجزيرة وتطورها العمراني في العصر المملوكي:

حظيت جزيرة الروضة في عصر سلاطين المماليك بعناية فائقة، وظلت مدة حكمهم موضع نزهمهم هم ورعاياهم، ومكان احتفالاتهم وأعيادهم، وبجانب المنشآت المعمارية بالجزيرة فقد ضمت أيضا الحقول المزروعة والبساتين ذات الأشجار المثمرة والأزهار<sup>(٤)</sup> ما يبهج النفس ويسر العين ويجعل أفئدة الناس تهوى إليها فكان ينطبق عليها المثل: «ثلاثة يذهبن الحزن، الخضرة والماء والوجه الحسن»، وقد اجتمعت هذه المزاي وغيرها في جزيرة الروضة.

ومن الجدير بالذكر أن صناعة السفن ازدهرت بدار الصناعة بالجزيرة في العصر المملوكي ازدهارا كبيرا وشهدت الروضة متنزعات بحرية كبيرة.

أما عن العمارة بها في العصر المملوكي فكان لها شأن كبير حتى أن ابن دقماق المتوفى سنة ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م يذكر أنه كان يوجد بها نحو العشرين مسجدا<sup>(٥)</sup>.

---

Discription de L'Egypte, Vol XV, P. 465, Omar Toussoun, Memoire Sur (١)  
L'histoire du Nil, L'Institut D'Egypte le Caire, Tome 2, P. 340, Creswell,  
The Muslim Architecture of Egypt, Vol. 2. P. 86. على مبارك، الخطط التوفيقية،

ج ١٨، ص ٢٥.

Pococke , A Discription of the East and Other Countries, 2 Vol, London, (٢)  
1754, P. 29.

(٣) محاضر لجنة الآثار العربية، ملحق تقرير ٧٠٤ في نوفمبر ١٩٣٥.

(٤) ذكر السيوطي أنه كان يزرع بها من الزهور البنفسج والورد والنرجس والمانثور والسوسن وشقائق النعمان والبهار والياسمين والنيلوفر والمزحوش والريحان والنارج، ومن الفواكه الليمون والكمثرى والعنب والتين واللوز والسفرجل والرمان والنبق والقثاء والخيار والبلح والرطب، ومن الخضروات القرنبيط والسبانخ والقرع والباذنجان والجزر، وكان يزرع بها أيضا أشجار الزيتون والعنب والخروب والبرقوق والتوت وقصب السكر والبطيخ والحشاش. انظر: كوكب الروضة، ورقة ١٣٤.

(٥) الانتصار، ج ٤، ص ١١٦.

وعن أحوال الجزيرة فى أول العصر المملوكى نجد أن السلطان المعز عز الدين أيلك (٦٤٨ - ٦٥٥هـ / ١٢٥٠ - ١٢٥٧م) قد أمر فى سنة ٦٤٩هـ / ١٢٥١م بإخلاء قلعة الروضة وتحويل من كان فيها من المماليك والحراس، وهدم منها جانباً وأخذ أعمدة رخامية منها وشبابيك حديد وأخشاب وغير ذلك وعمر به مدرسته التى برجة الحناء فى فسطاط مصر<sup>(١)</sup>، وطمع فى القلعة كل من له جاه فأخذ جماعة منها عدة سقوف وشبابيك كثيرة وغير ذلك وبيع من أخشابها ورخامها أشياء جلييلة<sup>(٢)</sup>.

إلا أن الملك الظاهر بيبرس (٦٥٨ - ٦٧٦هـ / ١٢٦٠ - ١٢٧٧م) أمر بعمارة القلعة الصالحة واصلاحها فتم اصلاح بعضها على يد الأمير جمال الدين موسى بن يغمور الذى وزع أبراجها على كبار الأمراء، وقد أمر الملك الظاهر بأن تكون بيوت جميع الأمراء واصطبلاتهم فيها وسلم المفاتيح لهم<sup>(٣)</sup>.

وقد اضطر الظاهر بيبرس لقطع صف يتكون من أربعين شجرة جميز كانت بالروضة على شاطئ النيل ليعمر بها شوانى بدلا من الشوانى التى كانت قد سيرها إلى قبرص ونكسرت هناك<sup>(٤)</sup>.

وقد كان الظاهر كثير التنزه بالروضة وعمل الاستعراضات البحرية بها، كان نتيجة اصلاحاته بقلعة الروضة أن زاد الاهتمام بالجزيرة والسكنى بها والتنزه فى ربوعها فعادت فرجا ومتنزهات وقصورا ودورا وبساتين وجوامع وحمامات<sup>(٥)</sup> وقد ازداد العمران فى شمال الجزيرة فى ذلك الوقت فبنيت المساجد والدور وغيرها وبصفة خاصة حول جامع غبن<sup>(٦)</sup> الذى رُم واعيدت إليه الخطبة سنة ٦٦٠هـ / ١٢٦٠م<sup>(٧)</sup>.

ولكن ذلك التعمير للقلعة لم يستمر إذ أنه لما تولى السلطنة الملك المنصور قلاوون (٦٧٨ - ٦٨٩هـ / ١٢٧٩ - ١٢٩٠م) امتدت يده إلى القلعة وأخذ من عمدتها ورخامها واعتابها شيئا كثيرا استخدمه فى بناء يمارستانه وقبته ومدرسته بالقاهرة التى أنشأها سنة ٦٨٣هـ / ١٢٨١م<sup>(٨)</sup>.

(١) المقرئى، الخطط، ج٢، ص ١٨٤، السلوك، ج١، ص ٣٨١، السيوطى، كوكب الروضة ورقة ٣٤. ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق ١، ص ٢٧٢.

(٢) أثناء تجوالى بأثار منطقة مصر القديمة وجدت بجامع المرحومى الواقع بشارع المرحومى المواجه للمقياس عمودين رخامين مجزعين غاية فى الروعة ينطبق وصفهما مع ما ذكره المؤرخون عن الأعمدة التى كانت بالقلعة بالروضة ونهت منها.

(٣) المقرئى، الخطط، ج٢، ص ١٨٤، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٧، ص ٩٢، السيوطى، حسن المحاضرة، ج٢، ص ٣٨٥، ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق ١، ص ٢٧٢.

(٤) السيوطى، كوكب الروضة، ورقة ٢٩، ٣٠، ابن دقماق، الانتصار، ج٤، ص ١١٠.

(٥) ابن دقماق، نفس المصدر والصفحة. (٦) محمد عبد العزيز، جزيرة الروضة، ص ١٨.

(٧) انظر ما سبق، ص ٧٩.

(٨) ابن دقماق، نفسه، المقرئى، الخطط، ج٢، ص ١٨٤، السيوطى، حسن المحاضرة، ج٢، ص ٣٨٥، ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص ٢٧٢.

وفى سلطنة حسام الدين لاجين (٦٩٦ - ٦٩٨ هـ / ١٢٩٦ - ١٢٩٨ م) أخذ محمد بن أصيل بن محمد الهمداني وهو من ذرية المتوصف أبي اليزيد البسطامي (المتوفى سنة ٢٦١ هـ / ٦٧٥ م) توقيعا من السلطان لاجين بإقامة زاوية له فى سنة ٦٩٦ هـ / ١٢٩٦ م، وقد جدد هذا التوقيع من السلطان المظفر بيبرس الجاشنكير فى سنة ٧٠٨ هـ / ١٣٠٨ م<sup>(١)</sup> وينص التوقيع على وقف الزاوية وقطعة أرض بجوارها مزروعة بقول وخضر وغيرها من الأشجار لينتفع بها الفقراء<sup>(٢)</sup> وقد بنيت هذه الزاوية على برج الطراز وهو أول برج من أبراج القلعة من السور الشمالى لها<sup>(٣)</sup>.

وفى أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون (٧٠٩ - ٧٤١ هـ / ١٣٠٩ - ١٣٤٠ م) فعل ما فعله من قبل أبوه السلطان المنصور قلاوون، فأخذ من انقاض القلعة ما بنى به الإيوان المعروف بدار العدل بقلعة الجبل، والجامع الناصرى الجديد بظاهر مدينة مصر على النيل، وأخذ منها ما بقى من أعمدة ورخام وغير ذلك<sup>(٤)</sup>، ومن يومئذ دثرت معالم قلعة الروضة وخربت وصارت كأنها لم تكن ولم يبق منها سوى عقد تسمية العامة القوس وكانت تنتزه به وكان فيما يلى جانبها الغربى أدركه المقرئ سنة ٨٢٠ هـ / ١٤١٧ م<sup>(٥)</sup> وفيه يقول الشاعر النواجى:

مصر قالت دمشق لا                      تفتخر قط باسمها  
لورأت قوس روضتى                      منه راحت بسهمها<sup>(٦)</sup>

وهذا يدل على عظمة ما كانت عليه القلعة وعلى أهمية الجزيرة كمتنزه عام، وبقي كذلك من آثار القلعة بقايا أبراج كثيرة بنى عليه الناس الدور الجليلة المطلة على النيل<sup>(٧)</sup> وهى باقية إلى أيام «ابن إياس» المتوفى عام ٩٣٠ هـ / ١٥٢٣ م<sup>(٨)</sup>.

(١) السيوطى، كوكب الروضة، ورقة ٢٥ ب.

(٢) انظر التوقيع فى السيوطى، كوكب الروضة، ورقة ٢٥ ب، على مبارك المخطوط التوفيقية، ج ١٨، ص ١٣ - ١٤.

(٣) فى سنة ٧٧٠ هـ: ١٣٦٩ م حولت زاوية البسطامى إلى جامع عرف بجامع الرئيس نسبة إلى رئيس الخلافة فتح الدين صدقة بن ناصر الدين بن زين الدين بن زيلع فى سلطنة الأشرف شعبان (٧٦٤ - ٧٧٨ هـ / ١٣٦٣ - ١٣٧٧ م) وقد ذكر السيوطى أنه رابع جامع اقيم بالروضة انظر: ابن دقماق، الانتصار، ج ٤، ص ١١٦، السيوطى، كوكب الروضة، ورقة ٢٥.

ثم هدم هذا الجامع مع الزمن وعاد زاوية تعرف باسم صاحبها الأول البسطامى، وهى لا تزال موجودة حتى الآن وبها ضريح البسطامى بشارع صغير يسمى شارع البسطامى متفرع من شارع الملك الصالح على بعد حوالى ١٢٠ متر جنوب كوبرى الملك الصالح، وهى عبارة عن مسجد صغير بنى حديثا مساحته ٦×١٢ متر وبالركن الغربى منه مقام البسطامى.

(٥) نفسه.

(٤) المقرئ، المخطوط، ج ٢، ص ١٨٤.

(٦) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ٢٧٢.

(٨) بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ٢٧٢.

وباندثار القلعة الصالحة عادت الجزيرة مكانا للتنزه والتفرج، وبها البساتين الكثيرة الحسنة والجوامع التي تقام فيها الجمع والأعياد والمساجد والأربطة<sup>(١)</sup>.

ومن الجوامع العظيمة التي بنيت في سلطنة الناصر محمد هو الجامع الذي بناه القاضي المعروف بالفخر الذي كان يشغل منصب ناظر الجيش في سنة ٧٣٠هـ / ١٣٣٠م وعرف حينئذ بجامع الفخر<sup>(٢)</sup> ثم جدده صاحب شمس الدين الشهير بالمقس ٧٧٨هـ / ١٣٧٦م<sup>(٣)</sup>.

وفي سنة ٧٤٠هـ / ١٣٣٩م لم تسلم جزيرة الروضة مثل غيرها من الأوقاف والرزق الاحباسية التي أوقفت على أولاد الملوك والأمراء السابقين من المصادرة والحل الذي ساد في العصر المملوكي، فقد قام النشو ناظر الخاص<sup>(٤)</sup> الذي كثرت مظالمه في دولة الناصر محمد بضم أراضى جزيرة الروضة إلى جملة أراضى الناصر محمد بعد أن كانت بيد أولاد الملوك، كما فرض الغرامات على أصحاب الدور بها وقطع جوامك ومرتبات القضاة وشيوخ العلم وغيرهم مما يخص الجزيرة<sup>(٥)</sup>.

وقد عرفت جزيرة الروضة المتنزهاة والمفترجات الخاصة ذلك انه في شعبان سنة ٧٨٤هـ / ١٣٨٢م عمل الأمير جركس الخليلي طاحونا في مركب تدور بالماء مثل الرحى وأوقفها عند رأس روضة المقياس من جهة بر الجزيرة بحبال ثابتة في البر والبحر وأكراها لبعض الطحانيين، وقد صارت متنزهاة خاصا يأتى الناس إليها أفواجا من كل جهة يتفرجون عليها، وقد قال فيها أدباء الزمان اشعارا كثيرة منها قول الشهاب بن العطار:

(١) المقرئى، الخطط، ج٢، ص ١٨٥، السيوطى، حسن المحاضرة، ج٢، ص ٣٨٦، كوكب الروضة، ورقة ٣٣. ابن بطوطة، الرحة، (نشر دار الكتاب اللبناني)، ص ٣٢.

(٢) ابن دقماق، الانتصار، ج٤، ص ١١٦، المقرئى، الخطط، ج٢، ص ٣١١، ابن نغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٩، ص ٢٠٢.

وقد بنى الفخر ثلاثة جوامع، واحد ببولاق والثانى فى جزيرة الفيل والثالث هذا الذى فى الروضة وهو حسبما ذكر المؤرخون ثالث جامع أقيم بالروضة.

(٣) على مبارك، الخطط التوفيقية، ج١٨، ص ١٣.

(٤) لعب النشو دورا كبيرا فى دولة الملك الناصر محمد بن فلاون. وعنه بالتفصيل انظر: المقرئى، السلوك، ج٢، ص ٤٧٣-٤٨٦.

أما عن وظيفة ناظر الخاص التى كان يشغلها النشو فهى من الوظائف المدنية الهامة وقد أحدثها الناصر محمد بن فلاون، وكان أصل موضوعها التحدث فيما هو خاص بجال السلطان من اقتطاعه أو نصيبه من أموال الخراج وبلاد الجباية مما ليس من الأموال العامة، وفى زمن تعطل الوزارة كان لناظر الخاص تدبير جملة الأمور. عن هذه الوظيفة بالتفصيل انظر: حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الأثار العربية، ٣ أجزاء، (نشر مكتبة دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٦)، ج٣، ص ١٢٠٧-١٢١٠.

(٥) الشجاعى، تاريخ الملك الناصر، ص ٦٠، المقرئى، السلوك، ج٢، ص ٤٧٤-٤٧٥، ابن نغرى بردى، النجوم، ج٩، ص ١٣٢.

تدور بالماء بمصر حقيق  
لأنه من كل وجه دقيق<sup>(١)</sup>

سر لطاحون الخليلي التي  
قد شنت من وصفها مسمى

وفى سلطنة المؤيد شيخ (٨١٥ - ٨٢٤ هـ / ١٤١٢ - ١٤٢١ م) أمر المؤيد فى ١١ رجب ٨٢٣ هـ / ١٤٢٠ بتوسيع الجامع المجاور للمقياس بدور كانت بجانبه ولكنه مات قبل الفراغ منه فأكملة من بعده السلطان الظاهر جقمق<sup>(٢)</sup>.

ومن الأعمال العظيمة للسلطان قايتباى (٨٧٢ - ٩٠١ هـ / ١٤٦٧ - ١٤٩٥ م) الأمر بتجديد جامع الفخر فى ربيع الآخر سنة ٨٨٦ هـ / ١٤٨١ م الذى جده من قبل المسمى، وكان الشاد على عمارته البدرى حسن بن الطولونى، وقد ذكر «ابن إياس» أن قايتباى ظل يتردد إلى الروضة ويكشف عن بناء الجامع حتى انتهى منه فى سنة ٨٨٨ هـ / ١٤٨٣ م وقد جاء فى غاية الحسن والتزخرف وعرف باسم السلطان قايتباى<sup>(٣)</sup>، ولكن «السيوطى» ذكر أنه أمر بأن يزداد فى هذا الجامع زيادة أخرى فى سنة ٨٩١ هـ / ١٤٨٦ م وأنشأ حول هذا الجامع الغراس والعمائر الحسنة فعمرت تلك البعقة وأحيت الروضة بعد أن كادت أن تدرس محاسنها<sup>(٤)</sup>، ولعل هذه الزيادة هى القاعة التى صيرت مسجدا وتقع فى ظهر الجامع أى فى الجانب الشمالى الغربى، وقد ذكرها «السخاوى» ضمن ترجمته لقايتباى فقال «... وبالروضة جامعة هائلة كان من قديم مع صغره ساقطا مائلا فهدمه وعمل بجانبه ربعا وأنشأ خلفه قاعة صيرها مسجدا جليلة تزينا ووضعها، وبني هناك عدة دكاكين وطاحون وغيرها محكم التمكين...»<sup>(٥)</sup> وقد تمت أعمال الزيادات والعمارات الأخرى بجوار الجامع فى رجب ٨٩٦ هـ / ١٤٩١ م<sup>(٦)</sup>.

ومن الطرائف التى ارتبطت بتلك الأعمال أن البدرى حسن بن الطولونى معلم المعلمين المشرف على العمارة قد وضع ناعورة (ساقية) فى وضع غريب بحيث تدور بحمار ينقل قدمه وهو واقف من غير أن يمشى أو يدور ويركب عليها طاحونه تدور بدورانها وكانت الناس تتوجه للفرجة عليها، كما كان البدرى حسن ابن الطولونى يصنع فى كل ليلة رابع عشر من كل شهر عربى ليلة حافلة بالجامع ويسمونها البدرية، وينصب على شاطئ البحر قدام الجامع من الخيام ما لا يحصى وتتجمع المراكب هناك حتى تسد النيل ويجتمع الجم الغفير من العالم، ويوقبلالجامع وقتلحافلويحضرها قراء البلد قاطبة والروعاظ، وتكون ليلة حافلة لم يسمع<sup>(١)</sup> ابن قاضى شعبة، تاريخ ابن قاضى شعبة، ص ٨٥، المقرئى، السلوك، ج ٣، ص ٤٧٢، السيوطى، كوكب الروضة، ورقة ٧٨، ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ٢، ص ٣٠٧.

<sup>(٢)</sup> المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٣٩٧، السلوك، ج ٤، ص ٥٣٤، ٥٣٧، العينى، عقد الجمان، (نشر الزهراء)، ص ١٠٨، ابن حجر العسقلانى، انباء الغمر، ج ٣، ص ٢٢١، ابن الصيرفى، نزهة النفوس، ج ٢، ص ٤٩١.

<sup>(٣)</sup> ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٢٨٣.

<sup>(٤)</sup> السيوطى، كوكب الروضة، ورقة ١٢٥.

<sup>(٥)</sup> الضوء اللامع، ج ٦، ص ٢٠٨.

<sup>(٦)</sup> ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٢٨٣.

بمثلها فيما تقدم واستمر الحال على ذلك مدة ثم بطل» (١).

وما زال جامع قايتباي عامرا للآن بذكر الله تعالى، وهو مسجل أثر رقم ٥١٩ بشارع جامع قايتباي بالروضة، وهو مصمم على نسق النظام المدرسى الذى يتكون من دور قاعة وسطى وإيوانين وسدلتين وكان ملحق به إضافات معمارية مثل القاعة التى اندثرت وغيرها (٢). وقد كان للجامع أوقاف كثيرة وملاحق اغتصبت فى النصف الأخير من هذا القرن، وقد عرف الحى حول جامع قايتباي فى العصرين المملوكى والعثمانى باسم كفر قايتباي أو عزبة قايتباي وقد عرف جامع قايتباي فى وقت ما باسم جامع السيوطى لأن الأمام جلال الدين السيوطى أقام به أو سكن قريبا منه (٣).

وقد أراد السلطان قايتباي أن يبنى قصرا فى خرطوم الروضة (أى أقصى الطرف الشمالى لها) يكون له أربع واجهات خالية ولكن لم يتم له ذلك (٤).

أما السلطان الأشرف قانصوه الغورى (٩٠٦ - ٩٢٢هـ / ١٥٠٠ - ١٥١٦م) فقد كان أكثر السلاطين تنزها بالجزيرة على الإطلاق، وحظى المقياس منه برعاية فائقة، وأقام من الاحتفالات ما يفوق الوصف، ففى سنة ٩١٧هـ / ١٥١١م أمر ببناء عدة منشآت معمارية بالروضة وجدد جامع المقياس، كما أنشأ قصرا على بسطة المقياس ومقعدا مطلا على النيل واهتم بإنشاء الحدائق والمتزهات (٥)، وقد بنى الغورى هذا القصر ليكون بمثابة استراحة جمهورية أو ملكية بتعبير اليوم، فقد ورد بكتاب وقف الغورى أنه قد «بناه متزها لنفسه ولمن يلى ملك مصر من بعده من ملوك الإسلام» (٦). وقد أوقف الغورى على المقياس والجامع والقصر وعلى أرباب الوظائف بهم أوقافا عديدة منها أراضى بجزيرة الروضة نفسها كانت تعرف بالميدان والبرك بالقرب من زاوية البسطامى (جامع الرئيس) مساحتها عشرين فدانا، وكذلك حصته من أراضى جزيرتى الصابونى والذهب، وأرض جزيرة بكاملها هى جزيرة النشوة التى كانت مستجده حينئذ بين جزيرتى الصابونى ودير الطين (دار السلام حاليا)، وكذلك أوقف عدة عقارات بمصر القديمة وساحلها وغير ذلك (٧).

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٢٨٣، السيوطى، كوكب الروضة، ورقة ٢٥.

(٢) عن جامع قايتباي بالتفصيل، انظر: حسنى نوبصر، عمائر قايتباي الدينية بمدينة القاهرة، دكتوراة «مخطوطة»، كلية الآداب جامعة القاهرة، ١٩٧٥.

(٣) حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد الأثرية، ص ٢٧٤.

(٤) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٢٢٤.

(٥) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ٢٥٤، ٢٧٦.

(٦) كتاب وقف السلطان الغورى رقم ٨٨٢ أوقاف، ص ٥٠٢، ٥١٠.

(٧) كتاب وقف السلطان الغورى رقم ٨٨٢ أوقاف، ص ٤٩٧، ٤٩٨، ولزويد من التفاصيل، انظر: عبد اللطيف إبراهيم، دراسات تاريخية وأثرية فى وثائق من عصر الغورى، دكتوراه، «مخطوطة» (كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٥٦م).

هذا وقد أراد السلطان الغورى كما أراد السلطان قايتباى من قبل بناء قصر ذات أربع واجهات خالية فى سنتى ٩١٨هـ / ٩١٩هـ بخرطوم الروضة ولكن ذلك لم يتم (١).

وكان يوجد بالروضة قرية كانت تعرف فى العصر المملوكى باسم منيل الممالك كانت مساحتها ٢٧٠ فدانا وكان يملكها الديوان السلطانى وهى التى عرفت فى العصر العثمانى باسم منيل الروضة وكانت تقع شمال جزيرة الروضة (٢).

### تاريخ الجزيرة وتطورها العمرانى فى العصر العثمانى:

ظلت جزيرة الروضة فى العصر العثمانى (٩٢٣ - ١٢١٦ هـ / ١٥١٧ - ١٧٩٨ م) تحظى بنفس العناية والرعاية التى كانت عليها أيام الدولة المملوكية ، وكانت مقاما لطبقة متميزة من المجتمع مثل الأمراء الذين اقاموا بها القصور الفخمة والحدائق الجميلة (٣) ، فضلا عن اتخاذها منزها عظيما ومحفلا رائعا .

ومنذ الفتح العثمانى لمصر نجد ذلك الاهتمام متمثلا فى كون السلطان المظفر سليم الأول فاتح مصر قد فضل اقامته بالروضة كما أنه أقام كوشكا فوق قصر الغورى (٤) فى شهر ربيع الأول سنة ٩٢٣هـ ، وقد فرغ من بنائه فى مدة يسيرة وقد قال «ابن إياس» فى هذه المناسبة :

لو علم الغورى أن قصره يسكن للمظفر المؤيد  
اضرم فيه النار من يومه ولم يدع من جدره جلمد (٥)

وقد زار مصر فى أول العصر العثمانى الرحالة المغربى ابن الوزان المعروف بليو الأفريقى وأشاد بجزيرة الروضة وذكر أنها عامرة جدا بالسكان وقدر عدد سكانها بألف وخمسمائة ، كما أشاد بقصر الغورى والمقياس (٦) .

(١) ابن إياس ، بدائع الزهور ، ج٤ ، ص ٢٨٣ ، ٣٣٩ . (٢) ابن الجيعان ، التحفة السنية ، ص ١٤٦ .

(٣) اندريه ريمون ، فصول من التاريخ الاجتماعى ، ص ٢٠٢ .

(٤) ذكر المؤرخ «يوسف الملوانى» أن هذا الكوشك (القصر) الذى أقامه السلطان سليم «مخروط الشكل» وهو بذلك يعد من التأثيرات العثمانية التى دخلت على أشكال العمائر بمصر ، كما ذكر أن انه لما عاد السلطان من بلاد الروم (تركيا) وجد مكتوبا بخطه على حائط القصر داخله هذان البيتان ، وهما :

الحمد لله من يظفر بنيل منى يردده قهرا ويلزم نفسه الدركا  
لو كان لى أو لغيرى قدر انملة من الأمور لكان الأمر مشتركا

انظر : تحفة الأحباب بن ملك مصر من الملوك والنواب ، (مخطوط برقم ٢٨ تاريخ فى مكتبة رفاعة البهططاوى بسوهاج) ، ص ١٢٢ .

(٥) ابن إياس ، بدائع الزهور ، ج٥ ، ص ١٩٣ .

(٦) ابن الوزان (الحسن بن محمد الوزان المعروف بليو الأفريقى ، ت بعد سنة ٩٥٧هـ / ١٥٥٠م) وصف أفريقيا ، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر ، ط ٢ ، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة ، سنة ١٩٨٣ ، ص ٢١٣ .

وفي جمادى الأولى ١٠٣١هـ / ١٦٢١م قام السلطان العثماني عثمان الثاني بن أحمد الأول (١٠٢٦ - ١٠٣١هـ / ١٦١٦ - ١٦٢١م) بتجديد ما انهدم من الكوشك الذي أقامه السلطان سليم كما قام بزخرفته (١).

واستمر العمران قائما بالجزيرة طوال العصر العثماني، ونرى في حجة وقف الأمير عابدى بك المؤرخة فى يوم ١٠ جمادى الأولى سنة ١٠٤١هـ / ١٦٣١م قيامه ببناء قاعات ومرافق خاصة بها وساقية وحوض دواب وطاحون وجنيئة بالإضافة لبناء جامع وذلك فى جنوب الروضة تجاه مصر القديمة كما أوقف أوقافا وأموالا على زاوية البسطامى بالجزيرة أيضا (٢).

وقد أثنى على جزيرة الروضة الرحالة «النايلسى» الذى زار مصر سنة ١١٠٥هـ / ١٦٩٣م فقال: «.. مررنا على الروضة وهى جزيرة ذات الحسن المشهورة والمشملة على الخضرة وألوان الزهور» (٣). وعن قصور الروضة وبساتينها ومنتزهاتها قال أيضا: «.. ثم سرنا إلى أن وصلنا إلى الروضة بمصر فدخلنا إلى مكان يشرح صدر المشتاق ويلذ لعيون العشاق وهو فى غاية الحسن والإشراق وفيه بركة من الماء فى وسطها مكان لطيف ومقعد ظريف فجلسنا هناك حصّة من الزمان نحن والاخوان وهناك قصر تقصر عن وصف محاسنه ألسنة الرقوم ويقعد فى فضاء المشرف سمير الصبابة ويقوم» (٤).

وحفلت الجزيرة فى القرن ١٢هـ / ١٨م بالعديد من القصور الفخمة والبساتين الكبيرة التى أقامها كبار الأمراء بمصر، ومن هؤلاء الأمير أحمد كتخدا المعروف بالمجنون (٥) (ت ١٢٠١هـ / ١٧٨٦م) الذى أنشأ بستانا غاية فى الحسن وبنى بجانبه قصرا يذهب إليه فى بعض الأحيان، ولما حضر حسن باشا (ربما حسن باشا طاهر الذى قتل سنة ١٢١٨هـ / ١٨٠٣م) إلى مصر ورأى هذا البستان أعجبه فأخذه لنفسه وأضافه إلى أوقافه (٦).

(١) الاسحاقى (محمد عبد المعطى)، لطائف أخبار الأول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول، (ط المطبعة الأزهرية، سنة ١٣٠٠هـ)، ص ١٤٩.

(٢) الوثيقة رقم ٩٩٢ أوقاف.

(٣) النايلسى (عبد الغنى بن إسماعيل، ت ١١٤٣هـ / ١٦٣٣م)، الحقيقة والمجاز فى الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، (نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٨٦)، ص ٢٣٦.

(٤) نفس المصدر، ص ٢٥٦.

(٥) الأمير أحمد كتخدا المعروف بالمجنون، كان من عمالِك سليمان جاويش القاردوغلى ثم انضم إلى عبد الرحمن كتخدا فانتمى إليه، وتعرض للنفى بالحجاز مدة ١٢ سنة ثم استدعاه محمد بك أبو الذهب فى أمارته، وقربه إليه ورد إليه التزامه، وكان قد أنشأ بترسا التى تجرى فى التزامه قصرا وبستانا كبيرا زرع فيه أصناف الأشجار والنخيل والرياحين، وبنى أيضا داره بدرج سعادة، ودارا على الخليج المرخم، وقد توفى فى خامس من شعبان سنة ١٢٠١هـ / ١٧٨٧م. انظر: الجبرتى، عجائب الآثار، ج٢، ص ٣٩ - ٤٠.

(٦) نفسه.

وكان للأمير مراد بك<sup>(١)</sup> قصر كبير بالروضة، كان يتردد عليه، أحيانا كثيرة<sup>(٢)</sup> وهذا القصر موقع على خريطة الحملة الفرنسية باسم قصر الروضة، ومرضعه الآن المنطقة المواجهة لكوبرى الملك الصالح تماما.

وبدراسة خريطة الحملة الفرنسية نجد بعض التجمعات البنائية القليلة الصغيرة المساحة تتمثل فى بعض الكفور يسكن بها فلاحو الجزيرة تتمثل فى كفر عبد العزيز فى شمال غرب الجزيرة، وكذلك كفر قايتباى حول جامع قايتباى، وكذلك تجمع بنائى مجاور للمقياس بالإضافة لبعض القصور والجوامع المتفرقة بها، وقد حول الفرنسيون أحد المساجد إلى طاحونة هواء وكان برأس الجزيرة<sup>(٣)</sup> (لوحة ٦).

وكانت الجزيرة كلها مزروعة وتمثل البساتين ذات الأشجار المثمرة نسبة ٢٠٪ منها والباقي مزروعة بالحبوب بالقول والخضر من كل الأنواع.

وكانت الجزيرة موضع عناية من الحملة الفرنسية حتى أن المهندس كفرلى صمم مشروعاً لتحويلها إلى مدينة فرنسية لما تتمتع به من موقع دفاعى فريد ويسهل الدفاع عنها وتقويتها ويمكن توصيلها بجزيرة بولاق، بالإضافة لمتنزهاتها وحدائقها وجوها البديع<sup>(٤)</sup> وقد قام الفرنسيون أثناء وجودهم بمصر بإصلاح المقياس<sup>(٥)</sup>.

وقد وصف «جومار» أحد علماء الحملة الفرنسية الجزيرة بما تضمنه من حقول وبساتين رائعة وخصوصا حول المقياس واستخدامها للتنزه فذكر كثرة أشجار البرتقال والليمون المورقة والمزهرة دائما مما جعل المكان نزها ومعطر الهواء بأذكى العطور فى الوقت الذى يغرد فيه الآلاف من العصافير، وقد قارن جومار بين هذه البساتين وبين البساتين الأوربية، كما أشاد بطريق الجميز الذى كان يؤدى إلى المقياس على النيل ووصف أشجار الجميز بأنها أجمل الأشجار الموجودة بمصر وأن الحيز الذى يغطيه ظلها السميك يبلغ عرضه مائة قدم، ويبلغ قطر

(١) انظر ترجمة فيما سبق، ص ٦٧.

(٢) الجبرتي، عجائب الآثار، ج٢، ص ٤٤٥، مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيين، (القاهرة، ١٩٦٩م)، ص ٣١٥.

(٣) جومار، وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل، ص ٣٣٧.

(٤) جومار، وصف مدينة القاهرة، ص ٣٣٧.

(٥) ذكر «الجبرتي» عمارة الفرنسيين للمقياس فقال: «انهم غيروا معالم المقياس وبدلوا أوضاعه وهدموا قبته العالية والقصر البديع الشاهق والقاعة التى بها عمود المقياس وبنوها على شكل آخر لا بأس به ولكنه لم يتم وهى على ذلك باقية إلى الآن، ورفعوا قاعدة العمود العليا ذراعاً وجعلوا تلك الزيادة من قطعة رخام مربعة ورسموا عليها من جهاتها الأربع قراريط الذراع». عجائب الآثار، ج٢، ص ٤٣٥. وعن عمارة الفرنسيين المقياس بالتفصيل أنظر، Marcel JJ، "Mémoire Sur Le Mekyas de L'île de Rou-dah" Description de L'Egypte Etat Moderne XV, Paris, 1826.

جدع أكبرها ما بين ثمانية وعشرة أقدام وعلوها مائة وعشرين قدما، وكان طول طريق الجميز ١٢٠٠ مترا<sup>(١)</sup>.

إلا إن الفرنسيين قد قطعوا الكثير من الأشجار والنخيل من جزيرة الروضة، مثلما فعلوا بالبساتين والجنائين بمصر وبولاق وغيرها عقب الثورة ضدّهم لاحتياجهم لأخشابها لعمل القلاع وتحصين الأسوار وعمل العجلات والعربات والمتاريس والوقود وكذلك المراكب والسفن<sup>(٢)</sup>.

### الجزيرة في عصر أسرة محمد علي :

شهدت جزيرة الروضة في زمن أسرة محمد علي نشاطا كبيرا فقد حفلت بقصور وبساتين عديد من الباشوات والبكوات، ومن أهمها بستان إبراهيم باشا بن محمد علي، بالجزء الشمالي من الجزيرة، وقد أنشأه على طراز أوروبي وجمع فيه النادر من الأشجار والزهور التي أدخلت إلى مصر من أوروبا وأمريكا والهند<sup>(٣)</sup>.

وقال عنه على مبارك « والناس يترددون على اختلاف طبقاتهم إلى البستان المذكور في أيام شم النسيم وهو من أعظم البساتين لأحتوائه على الأشجار المتنوعة الغربية المجلوبة إليه من البلاد البعيدة واحتوائه أيضا على أصناف الحيوانات والطيور وبه خلجان من البناء تجرى فيها الماء، ومغارة معمولة من الودع وجلاية مصنوعة مغروسة بالأشجار والأزهار ويحيط بالبستان المذكور رصيف من الثلاث جهات<sup>(٤)</sup>. ويمثل موقع البستان الآن القصر العيني الجديد.

أما في جنوب الجزيرة فقد أقام حسن باشا المناسترلي<sup>(٥)</sup> قصرا كبيرا وكوشكا في سنة ١٢٦٧هـ / ١٨٥١م، وهذا الكوشك (السراي) قد حل محل جامع المقياس الذي ترجع أصوله إلى زمن الخليفة المستنصر الفاطمي، وقد كان قد تعرض للتدمير من جراء انفجار مصنع البارود الذي كان بالقرب من المقياس والذي صمم بمعرفة المهندس الفرنسي باسكال كوست في عام ١٢٣٥هـ / ١٨٢٠م<sup>(٦)</sup>.

(١) وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل، ص ٣٣٦، ومن الجدير بالذكر أنه يوجد حتى الآن بعض أشجار الجميز بجوار قصر المناسترلي وبشارع عمرو بن العاص على كورنيش الروضة.

(٢) الجبرتي، عجائب الآثار، ج٢، ص ٤٣٧-٤٣٨.

(٣) كلوت بك، لمحة عامة إلى مصر، ترجمة محمد مسعود، ط٢، ج١، (نشر دار الموقف العربي، القاهرة، ١٩٨١م)، ص ١٥٠.

(٤) الخطط التوفيقية، ج١٨، ص ١١.

(٥) كان حسن باشا المناسترلي يشغل منصب محافظ القاهرة، وقد توفي سنة ١٢٧٦هـ / ١٨٥٩م.

(٦) Creswell, The Muslem Architecture of Egypt, I, P. 219.

وهذا الكوشك مبنى على الطراز الأوربي المسمى الباروك والروكوكو، وهذا الطراز انتشر بمصر من عصر محمد علي، والكوشك عبارة عن صالة كبيرة تحفها الحجرات، وهذا الطراز من المباني كان يبنى من الخشب وتكسى حوائطه بالحلقة والجبس وتنقش عليه الزخارف ويكون من دور واحد.

أما القصر الكبير الذي كان أمام الكوشك فقد اندثر الآن ومحلّه الآن محطة المياه الموجودة شمال الكوشك، وقد تخلف من هذا القصر سلسليل معروض حاليا بالحديقة المتحفية بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة.

وكانت جزيرة الروضة أيام «علي باشا مبارك» يشغلها من الجنوب المقياس وسراى المناسترلى وشمالها بقليل تقع سراى وبستان سليم باشا الجزائرلى مطلة على سيالة الروضة وشمالا منه بستان السادات الوفائية ثم أرض الست البارودية وبها زاوية أبى يزيد البسطامى ثم أرض حسن باشا يجن وبستان شاكر بك ثم بستان وقصر على باشا شريف ثم بستان وقصر على باشا ذو الفقار ثم بستان وسراى للخديوى إسماعيل، ويفصل هذا القصر عن قصر والده عباس باشا الأول الطريق الموصل لجامع قايتباى، وفى شمال الجزيرة بستان إبراهيم باشا ابن محمد على.

أما الجانب الغربى من الجزيرة فيذكر على مبارك أنه كان يوجد من الجنوب سراى أمين باشا ثم أرض حسين باشا يجن ثم أرض على باشا شريف ثم أرض تعلق الخديوى إسماعيل ثم أرض أحمد باشا المنكلى ومنزول وبستان ورثة خليل بك، ثم القرية المعروفة بالمنيل ثم ثانية أرض ورثة أحمد باشا المنكلى ثم قصر وبستان قاسم باشا، ويتوصل منه إلى الفرع الشرقى بطريق مظلل بالأشجار<sup>(١)</sup>.

هذا ويوجد حاليا مسجد يسمى مسجد الدربنى يقع شمال شرق جامع صلاح الدين داخل حرم كلية طب الأسنان، وكان يقع أيام على مبارك غرب بستان إبراهيم باشا، وهو مسجد قديم غير معروف تاريخ إنشائه لأول مرة، وقد جدته زوجى الهامى باشا ابن عباس حلمى الأول<sup>(٢)</sup> وهى والدة السيدة أمينة زوجة الخديوى توفيق التى عرفت بأمر المحسنين، وبالمسجد المذكور ضريح الشيخ الدربنى الذى توفى فى سنة ٦٩٧هـ / ١٢٩٧م<sup>(٣)</sup> ويذكر على مبارك أنه لم يدفن به وإنما دفن فى بلدته درين<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر بالتفصيل : على مبارك، الخطط التوفيقية، ج ١٨، ص ١١، محمد كمال السيد، أسماء ومسميات،

ص ٤٥٢ - ٤٦١ . (٢) على مبارك، الخطط التوفيقية، ج ١٨، ص ١٤ .

(٣) الشعرانى، الطبقات الكبرى (لواقع الأنوار فى طبقات الأخيار)، (طبعة بولاق، ١٢٨٦هـ)، ج ١ ص ٢٠٤ .

(٤) الخطط التوفيقية، ج ١١، ص ٧٣ .

وفى منتصف هذا القرن قسمت أرض النيل إلى شوارع وتحولت أراضيها إلى مباني، وأطول شوارعها حاليا شارع النيل الذى يخترقها من الجنوب إلى الشمال، بينما يقطعها من الشرق للغرب شارع الروضة الذى يمتد عند كوبرى الملك الصالح إلى كوبرى الجزيرة (كوبرى عباس سابقا).

### جسور الروضة:

نظرا لما كانت عليه جزيرة الروضة من مكانة بصفتها عروس متنزهات مصر، ونظرا لل عمران الدائم لها وكثرة الواردين إليها للتفرج والتنزه، ولما كانت تقع فى وسط النيل وتقابل مدينتى الفسطاط والجزيرة لذا فقد حرص الملوك والسلاطين والأمراء على أن ييسروا الطرق إليها واتصالها بالمدينتين المذكورتين، فأقيم بها العديد من الجسور على مر الزمن (لوحة ٧).

وكان يوجد بمصر نوعان من الجسور أولهما الجسور المبنية والأخرى هى الجسور الخشبية، فأما الجسور المبنية فهى قديمة جدا بمصر، وكانت تستخدم على المجارى المائية الضيقة مثل خلجان القاهرة. أما الجسور الخشبية فهى التى أقيمت لربط جزيرة الروضة بفضتى النهر، وأحيانا تربطها بالجزر الأخرى، والجسور الخشبية عبارة عن قوارب مرصوة بجوار بعضها البعض وموثقة معا بالحبال فيمكن السير عليها، ويتدفق الماء من تحتها، وكانت أغلب جسور الروضة بتلك الصفة، وأحيانا كان الجسر يفتح ويقفل لعبور المراكب كما كان لها درابزين<sup>(١)</sup>.

وجسر الروضة الذى يربطها بساحل مصر القديمة كان موجودا قبل الفتح الإسلامى لمصر، وقد عبر عليه المقوقس وتبعه عدد من الرومان وكبار القبط ليحتموا بقلعة الروضة أبان الفتح وقطعوه بعد عبورهم، وكان هذا الجسر من المراكب يربط ساحل مصر أمام حصن بابليون بجزيرة الروضة، كما كان يوجد جسر آخر بين الروضة والجزيرة وكان عرض كل جسر منهما ثلاث قصبات<sup>(٢)</sup>.

ثم أعيد عمل الجسر مرة أخرى نظرا لما كانت عليه جزيرة الروضة من أهمية، ولما قدم الخليفة العباسى المأمون (١٩٨ - ٢١٨ هـ / ٨١٣ - ٨٣٣ م) إلى مصر سنة ٢١٧ هـ / ٨٣٢ م، أصلح الجسر كما تم عمل جسر آخر جديد يمر الناس فى ذهابهم عليه ويرجعون من على الجسر القديم، ولكن هبت ريح عاصفة بعد ذلك فقطعت الجسر القديم فصدمت سفنه الجسر المحدث فبطل الجسر القديم وأثبت الحديد واستخدم<sup>(٣)</sup>.

(١) ابن المقفع، تاريخ بطارقة الكنيسة المصرية، ج٤، ص ١٨ - ١٩.

(٢) المقرئى، الخطط، ج٢، ص ١٧٠، السيوطى، حسن المحاضرة، ج٢، ص ٣٨٢.

(٣) المقرئى، الخطط، ج٢، ص ١٧٠، القلفشندى، صبح الأعشى، ج٣، ص ٣٣٩، السيوطى، كوكب الروضة، ورقة ٣٦، حسن المحاضرة، ج٢، ص ٣٨٢.

واستمر جسر المأمون قائما يستخدمه الناس فى العبور وعن طريقه عبرت الجيوش الفاطمية بقيادة جوهر الصقلى فى يوم الثلاثاء ١١ شعبان سنة ٣٥٨هـ / ٩٦٩م، بعد أن عبروا جسر الجيظة<sup>(١)</sup>، ويبدو أن الجسرين أهملتا عقب ذلك لذا ففى أول رجب ٣٦٤هـ / ٩٧٥م أمر الخليفة الفاطمى المعز لدين الله بإصلاح جسر الروضة بعد أن ظل معطلا لعدة سنوات، ولكن يبدو أنه خصص للخليفة فقط إذا أن المعز منع الناس من العبور عليه<sup>(٢)</sup>.

وهذا الجسر ذكره «ابن حوقل» المتوفى سنة ٣٦٨هـ / ٩٧٧م وقال أنه كان يتكون من ثلاثين سفينة<sup>(٣)</sup>.

أما «ناصر خسرو» الذى زار مصر سنة ٤٤١هـ / ١٠٤٩م فقال «وثبت بين الجزيرة والمدينة (الفسطاط) جسر من ست وثلاثين سفينة»<sup>(٤)</sup>.

أما الرحالة «الأدريسى» المتوفى سنة ٥٦٠هـ / ١١٦٤م فيذكر أنه كان يجاز إلى جزيرة الروضة على جسر فيه نحو ثلاثين سفينة ويجاز القسم الثانى وهو أوسع من الأول على جسر آخر وسفنه أكثر من الأول أضعافا مضاعفة وطرف هذا الجسر يتصل بالشط المعروف بالجيظة<sup>(٥)</sup>.

مما ذكر يتضح لنا أن جسر الروضة ظل موجودا طول العصر الفاطمى بين الفسطاط والروضة أما الجسر الذى كان بين الروضة والجيظة فأحيانا يقام وأحيانا يستعاض عنه بالعبور فى المراكب.

وفى سلطنة الكامل محمد الأيوبي (٦١٥ - ٦٣٥هـ / ١٢١٨ - ١٢٣٧م) عمل جسر بين جزيرة الروضة إلى الجيظة، وكان مبتدأه من قدام الصناعة المستجدة<sup>(٦)</sup> وعدة المراكب التى فيه ٥٣ مركبا وتم عمله سنة ٦١٥هـ / ١٢١٨م، وقد أباحه السلطان لعبور الناس عليه، وقد أمر السلطان بعمل صيانة دائمة له، وكان فى هذا الجسر مواضع تفتح للمراكب العابرة منه وتعاد إلى حالها بعد عبورها، وقد سر الناس بذلك الجسر سرورا عظيما وساعد على الحركة والتنقل بين الفسطاط والروضة إلى والجيظة، وقد تميز هذا الجسر بعمل درابزين خشبى من الجانبين خشية سقوط أحد فى النيل<sup>(٧)</sup>.

(١) المقرئى، الخطط، ج٢، ص ١٧٠.

(٢) المقرئى، الخطط، ج٢، ص ١٧٠، اتماظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ٣ أجزاء، تحقيق جمال الشيال ومحمد حلمى، (نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٩٦٧ - ١٩٧٣) ج١، ص ٢١٨.

(٣) صورة الأرض، ط ليدن ١٩٣٨م، ص ١٤٦. (٤) سفرنامه، ص ٦١.

(٥) نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق (ط ليدن، ١٨٦٤م)، ص ٣٢٣.

(٦) معنى ذلك أن الكامل أقام دار صناعة جديدة غربى جزيرة الروضة.

(٧) ابن المقفع، تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، ج٤، ص ١٨، ١٩، ١٣٧.

ولما ابتداء السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب فى بناء قلعته بالجزيرة سنة ٦٣٨هـ / ١٢٤٠م وحفره لسيالة الروضة أنشأ فى العالم التالى جسرا متندا من بر مصر إلى الروضة وكان رأس هذا الجسر قبلى خط دار النحاس أمام المدرسة الخروبية<sup>(١)</sup>، وكان هذا الجسر يتكون من واحد وعشرين مركبا وعرضه يسع جملين محملين متقابلين ولا يزدحمان، وكان الأمراء إذا ركبوا من منازلهم يريدون الخدمة السلطانية بقلعة الروضة يترجلون عن خيولهم عند البر ويمشون فى طول هذا الجسر إلى القلعة ولا يمكن لأحد من العبور عليه رابكا سوى السلطان فقط، ولم يكن مسموحا فى ذلك الوقت لمرزب الناس عليه لوقوعه فى حيز قلعة السلطان ولذلك كان الناس يعبرون النيل بأنفسهم ودوابهم فى المراكب<sup>(٢)</sup>.

### جسور الروضة فى العصرين المملوكى والعثمانى :

لما تولى السلطان عز الدين أيبك حكم مصر (٦٤٨ - ٦٥٥هـ / ١٢٥٠ - ١٢٥٧م)، خرب القلعة الصالحية فأهمل الجسر عند ذلك إلى أن عمره الظاهر بيبرس فى ذى الحجة ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م وجدد مراكبه من ساحل مصر إلى الروضة وكذلك جدد الجسر الآخر بين الروضة وبين الجيزة وذلك لعبور جيوشه لقتال الفرنج<sup>(٣)</sup>.

ويبدو أن جسرى الروضة أهملتا بعد ذلك وبطل أمرهما من جملة ما بطل فى مصر من الشعائر القديمة واستعيعض عنهما فى العبور بالمراكب<sup>(٤)</sup>.

ولم يصلنا أخبار عن إقامة الجسور فى العصر العثمانى فقد ذكر المؤرخ «ابن أبى السرور البكرى» المتوفى سنة ١٠٨٧هـ / ١٦٧٦م أن الجسرين قد دثروا ولم يعمل بهما<sup>(٥)</sup>.

(١) المدرسة الخروبية أنشأها كبير أسرة الخرايية بدر الدين محمد بن محمد بن محمد الخروبي التاجر بعد سنة ٧٥٠هـ / ١٣٤٩م على ساحل مصر قبلى خط دار النحاس . انظر: ابن دقماق، الانتصار، ج٤، ص ٩٩، المقرئى، الخطط، ج٢، ص ١٧٠، ٣٦٩. وقد ذكر المرحوم محمد رمزى أن هذه المدرسة عرفت باسم جامع القبوة لأنه كان معلقا على قبو فى مدخل شارع القبوة الحالى بمصر القديمة، وقد زال هذا الجامع ولم يبق من آثاره إلا أحد حائطى القبوة على يمين الداخل فى شارع القبوة . انظر: تعليقه على النجوم الزاهرة، ج٥، ص ١٧٢. وأقول أنه الآن زالت هذه البقايا وقد كانت موقعة برقم ٥٣٢ على خريطة القاهرة للآثار الإسلامية (لوحة ٢ مربع ١٣ أ) برأس شارع القبوة بمصر القديمة.

(٢) ابن المقفع، تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، ج٤، ص ١١١، المقرئى، الخطط، ج٢، ص ١٧٠، السلوك، ج١، ص ٣٤١، السيوطى، حسن المحاضرة، ج٢، ص ٣٨٣، ابن عباس، بدائع الزهور، ج١، ق١، ص ٢٧١.

(٣) المقرئى، الخطط، ج٢، ص ١٧٠، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٧، ١٤٩، السيوطى، حسن المحاضرة، ج٢، ص ٣٨٣.

(٤) ابن ظهيره، الفضائل الباهرة، ص ٢٠٢.

(٥) قطف الأزهار فى الخطط والآثار، مخطوط بدار الكتب، رقم ٤٥٧ جغرافيا، ورقة ١٦٠.

وفى زمن الحملة الفرنسية على مصر (١٢١٣-١٢١٦ هـ / ١٧٩٨-١٨٠١ م) أقام الفرنسيون جسرا فى شوال سنة ١٢١٣ هـ / ١٢٩٨ م من مراكب مصطفة من بر مصر يقع شمالي القصر العيني بقليل إلى الروضة تسير عليه الناس بدوابهم وأنفسهم ، (لوحه ٧) كما عملوا جسرا ثانيا كبيرا من الروضة إلى الجيزة فى موضع الجسر القديم ، ولكنهم لم يقيموا جسرا مواجها له فى موضع الجسر القديم بين ساحل مصر من أمام المدرسة الخروبية إلى الروضة (١).

ولكن ذلك الجسر الذى بين الروضة والجيزة لم يستمر سوى ثلاث سنوات ، إذ ذكر «الجبرتي» أنه فى جمادى الآخرة سنة ١٢١٦ / ١٨٠١ م قد تفكك الجسر المنصوب بين الروضة والجيزة وذلك من شدة الماء وتحللت رباطاته وانتزعت مراسيه وانتشرت أخشابه وتفرقت سفنه وانحدرت إلى بحرى (٢).

ويتأكد لنا من خلال ما يذكره «الجبرتي» عن عدم وجود الجسر الذى كان دائما موجودا بجنوب جزيرة الروضة بينها وبين مصر بجوار موقع المدرسة الخروبية إذ يذكر أن إبراهيم باشا بن محمد على عندما وصل إلى مصر فى شهر صفر سنة ١٢٣٥ هـ / ١٨١٩ م بعد انتصاراته على الوهابيين أقام بقصر شريف بك بالروضة بشاطئ النيل تجاه الجيزة وعند وصوله عملوا له جسرا من الروضة إلى ساحل مصر القديمة على مراكب من البر إلى البر وزدموه بالأتربة من فوق الأخشاب (٣).

أما الكبارى الحديثة على نيل القاهرة فقد عرفت أيام الخديو إسماعيل باشا (١٢٨٠ - ١٢٩٧ هـ / ١٨٦٣ - ١٨٧٩ م) الذى أنشأ (كوبرى) قصر النيل وهو أقدم كوبرى أنشئ فى العصر الحديث ليصل البر الشرقى بجزيرة الزمالك ، وقد نفذته شركة فرنسية ١٢٨٩ هـ / ١٨٧٢ م ، أما كوبرى الجلاء (كوبرى الإنجليز سابقا) المواجه له الذى يصل بين الجزيرة والدقى فقد أقامته شركة إنجليزية سنة ١٢٩٤ هـ / ١٨٧٧ م .

أما كبارى الروضة وهما كوبرى الملك الصالح وكوبرى الجيزة فقد أنشأهما الخديوى عباس حلمى الثانى (١٣١٠ - ١٣٣٣ هـ / ١٨٩٢ - ١٩١٤ م) وذلك فى سنة ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٨ م (٤).

(١) الجبرتي، عجائب الآثار، ج٢، ص ٢٦٧، جومار، وصف مدينة القاهرة، ص ٣٣٤.

(٢) الجبرتي، عجائب الآثار، ج٢، ص ٤٩٩.

(٣) نفس المصدر، ج٣، ص ٦٠٦.

(٤) لمزيد من التفاصيل عن الكبارى الحديثة، انظر: عبد الرحمن زكى، موسوعة مدينة القاهرة، ص ٢٣٦،

فؤاد فرج، القاهرة (٣ أجزاء)، ط دار المعارف، ١٩٤٦، ج٢، ص ٢٨٨، محمد كمال السيد، أسماء

وفسميات، ص ٤٩٩ - ٤٥٠.

### ثالثاً، الجزيرة الوسطى (جزيرة الزمالك)

كانت الجزيرة الوسطى من أجمل منتزهات مصر فى العصرين المملوكى والعثمانى وقد تكونت هذه الجزيرة وظهرت للوجود نتيجة اتصال جزيرتين هما جزيرة أروى جنوباً وجزيرة حليمة شمالاً (شكل ٢٠).

وقد قال «المقريزى» عن موقع جزيرة أروى واسمها «هذه الجزيرة تعرف بالجزيرة الوسطى لأنها فيما بين الروضة وبولاق وفيما بين بر القاهرة وبر الجزيرة له ينحسر عنها الماء إلا بعد سنة سبعمائة» (١).

وعن تعميرها قال «... وبني الناس فيها الدور الخليفة والأسواق والجامع والطاحون والفرن، وغرسوا فيها البساتين وحفروا الآبار وصارت من أحسن منتزهات مصر، يجف بها الماء ثم ينكشف ما بينها وبين بر القاهرة فإذا كانت زيادة النيل أحاط الماء بها وفى بعض السنين يركبها الماء فتمر المراكب بين دورها وفى أزقتها» (٢).

وقد تأثرت مساكن هذه الجزيرة بالأحداث التى بدأت سنة ٨٠٦هـ والتى نتجت عن نقص النيل، وأعقبها فتن كثيرة، ولكن المقريزى قال «... وفيها إلى اليوم بقايا حسنة» (٣).

أما عن جزيرة حليمة فقال «المقريزى» عن موقعها وتاريخها «هذه الجزيرة خرجت فى سنة ٧٤٧هـ / ١٣٤٦م ما بين بولاق والجزيرة الوسطى سميتها العامة حليمة» (٤). وقد صارت الجزيرة متنزهًا عظيمًا نصب فيها الناس الأخصاص (العشش) وزرعوا ما حول هذه الأخصاص بالزهور والرياحين والمقائى (البطيخ والشمام والخيار والقناء... الخ) واتجه أرباب الخلاعة والمجون إليها وتهتكوا بأنواع المحرمات فارتفعت قيمة الأرض بها (٥).

وذكر «المقريزى» كثرة المتزهين بالجزيرة فقال «... وتردد إلى هذه الجزيرة أكثر الناس حتى كادت القاهرة أن لا يثبت بها أحد» (٦).

وقد اتصلت الجزيرتان «أروى وحليمة» بواسطة طرح النيل وصارتا جزيرة واحدة هى الجزيرة الوسطى التى يعرف الجزء الجنوبى منها الآن باسم الجزيرة، والجزء الشمالى باسم

(١) الخطط، ج٢، ص ١٨٦. (٢) نفسه. (٣) نفسه.

(٤) نفسه. ذكر الباحث «سامى نوار» أن جزيرة حليمة نشأت سنة ٧٤٩هـ نتيجة حفر منجك خليج موردة الخلفا من رأس موردة الخلفا تحت الدور إلى بولاق انظر: المنشآت المائية، ص ١٧٧، ولكن هذا يناقض كلام المقريزى وغيره من المؤرخين الذين ذكروا أن جزيرة حليمة ظهرت سنة ٧٤٧هـ أى قبل حفر منجك لخليج موردة الخلفا بستين، ثانياً كان موقع جزيرة حليمة شمال الجزيرة الوسطى أى ما بين بولاق والجزيرة الوسطى بينما خليج موردة الخلفا كان يبدأ من مصر القديمة أمام جزيرة الروضة وتسير بقبته موازية للجزيرة الوسطى.

(٥) المقريزى، الخطط، ج٢، ص ١٨٦، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص ١٢٩.

(٦) الخطط، ج٢، ص ١٨٦.

الزمالك ، ويبدو أن هذا الاندماج قد حدث فى العصر العثمانى فى نفس الوقت الذى اندمجت فيه جزيرتا الذهب والصابونى (١).

وهذه الجزيرة طولية الشكل وهى من جزر غرب المجرى وتتبع من الناحية الادارية قسم قصر النيل بمحافظة القاهرة وتبلغ مساحتها خمسمائة وخمسة عشر فدانا (٢).

ويتضح من خريطة الحملة الفرنسية أن الجزيرة وقعت عليها باسم جزيرة بولاق الكبيرة أو جزيرة القرطية (نسبة إلى القرط وهو البرسيم الذى كان يزرع لها). وبالشمال منها جزيرة صغيرة تسمى جزيرة عازر، أما فى الجنوب منها فتقع فى جزيرة صغيرة أيضا تسمى جزيرة مصطفى أغا، ثم اتصلت تلك الجزر بعضها ببعض فيما بعد وعرفت باسم الجزيرة الكبيرة أو جزيرة بولاق لمواجهتها لبولاق أو الجزيرة الوسطى ثم عم عليها أخيرا اسم جزيرة الزمالك.

وقد تعرضت مساحة وشكل الجزيرة للتغيير الذى ترتب على تحويل مجرى النيل سنة ١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م ليكون الفرع الرئيسى له هو الفرع الشرقى بدلا من الغربى وذلك لأن النيل تسلط حينئذ على الجزء الجنوبى من الجزيرة الذى كان قريب الاتصال بجزيرة الروضة أيام التحاريق وكذلك على الساحل الشرقى منها تجاه بولاق وأخذ منها جزءا، ونتج عن تحويل المجرى اتساع النيل تحت بولاق واستمرار وجود الماء تحتها طول أيام السنة، والأرض التى أكلها البحر من الجزيرة نقلها إلى الجهة الشمالية منها (٣) وقد كانت الجزيرة قبل ذلك المشروع تبدو وكأنها متصلة بالضفة الغربية للنيل، ومنذ ذلك الإصلاح أصبح الساحل الغربى للجزيرة أكثر استقامة نتيجة إقامة التكسيات الحجرية التى تحميه (٤).

## العمران بالجزيرة:

بالرغم من أن الجزيرة غلب عليها النشاط الزراعى فى أغلب تاريخها إلا أنها حفلت فى بعض فترات العصر المملوكى بالنشاط المعمارى، ويتضح الحرص على العمران بها منذ ظهورها أن الطواشى مثقال خدام تذكارات ابنة الملك الظاهر بيبرس أنشأ جامعا بها ذكر المقرئى أنه عامر إلى أيامه (توفى المقرئى سنة ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) (٥).

(١) انظر ما سبق، ص ٦٤.

(٢) تقرير من وزارة الأشغال، سعاد جمال الدين، الجزر النيلية، ص ٧١، ٣٨٢، بينما ذكر الباحث عبد القادر عبد العزيز فى رسالته «استخدام الأرض فى الجزر النيلية» ص ٢٨ أن مساحة الجزيرة ٦٠٧ فدان.

(٣) محمد رمزى، الجغرافيا التاريخية لمدينة القاهرة، ص ٥٢٢.

(٤) سعاد جمال الدين، الجزر النيلية، ص ٣٨٦.

(٥) المقرئى، الخطط، ج٢، ص ٣٢٥، ابن دقماق، الانتصار، ج٥، ص ٤٥، وقد حقق المرحوم الأستاذ محمد رمزى موقع هذا الجامع فذكر أنه هو المجدد حتى الآن والذى يعرف حاليا بجامع الجزيرة فى حديقة النهر «أسفل كوبرى ٦ أكتوبر حاليا». انظر: تعليقه على النجوم، ج٩، ص ٢٠٦.

ومما يدل على كثرة العمارة بالجزيرة فى العصر المملوكى أن السلطان إينال (٨٥٧- ٨٦٥ هـ / ١٤٥٣- ١٤٦١م) أمر فى يوم ١٣ جمادى الأولى سنة ٨٦٢هـ / ١٤٥٨م، بالمنادة بأن أحدا من الناس لا يعمر عمارة بجزيرة أروى المعروفة بالجزيرة الوسطى ولا بساحل بولاق لما رأى من ضيق الطريق من كثرة العمائر والأخصاص وأمر أيضا بهدم أماكن كثيرة فهدمت فى اليوم المذكور»<sup>(١)</sup>.

ولكن التعمير ظل قائما بالجزيرة بقية العصر المملوكى<sup>(٢)</sup>، وكان للسلطان الملك الأشرف قانصوه الغورى حمام كبير بالجزيرة<sup>(٣)</sup>.

وكانت الجزيرة على أحسن ما تكون من الحركة والنشاط بها فى أيام فيضان النيل، ولكن أحيانا ما يظنى الفيضان عليها فتغرق بيوتها وأخصاصها وزراعاتها فتتهجر حيثذ، بالإضافة إلى عوامل أخرى تؤثر سلبيا على الجزيرة مثل الاضطرابات والصراعات السياسية والعسكرية التى تكون الجزيرة مسرحا لها، فعلى سبيل المثال ذكر «ابن إياس» أن من العجائب أنه فى شعبان ٩٢١ هـ أن مع وجود علو النيل وثباته لم يسكن فى الجزيرة الوسطى ولا بيت واحد ولم يفتح فيها دكان ولم يعمل بها مقصف للمتفرجين، ولم يعلم ما سبب ذلك ولكن أشاعوا أنه سكن الجزيرة عدة مناخات لابن السلطان (الغورى) والأمراء فخشى الناس أن يسكنوا الجزيرة من نفر الذى هناك، فهذا كان السبب فى منع الناس من سكن الجزيرة»<sup>(٤)</sup>.

ويبدو أن سنة ٩٢١هـ / ١٥١٥م كانت بداية النهاية للتطور العمرانى للجزيرة ذلك أن السلطان الغورى أمر بسد خليج الزريبة بجسر عند قنطرة موردة الجبس<sup>(٥)</sup> مما أثر على الحركة إلى الجزيرة.

وكانت الطامة الكبرى للجزيرة فى أثناء الغزو العثمانى لمصر سنة ٩٢٣هـ / ١٥١٧م فقد تعرضت للخراب التام وتلاشى أمرها يومئذ وخلت بيوتها من السكان وقد كانت من أجل مقترحات مصر فقد نزلت العساكر العثمانية فى بر الجزيرة على رملة البحر وصاروا يخربون بيوتها حتى لم يبق بها إلا الجدر وقد نقل أصحاب الأملاك السقوف والأبواب والطينان فخربت بالكلية من يومئذ وانقطع الرجاء من عمارتها ثانيا<sup>(٦)</sup>.

وكان من جراء ما سبق أن ساد النشاط الزراعى فى الجزيرة فى العصر العثمانى فعمرت بالبساتين والحقول.

(١) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج١٦، ص ١١٨.

(٢) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٥، ص ٢٧٠.

(٣) كتاب وقف السلطان الغورى رقم ٨٨٢ أوقاف، ص ١٣٢- ١٣٣.

(٤) بدائع الزهور، ج٤، ص ٤٧٣، ٤٧٨. (٥) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٥، ص ٢٦٩- ٢٧٠.

(٦) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٥، ص ١٩٦، ٢٧٠.

وفى القرن ١٢هـ/ ١٨م أقام العديد من الأمراء البساتين والقصور مثل الأمير عثمان كتخدا القارودوغلى<sup>(١)</sup> والأمير عبدالرحمن كتخدا الذى أقام بستانا على مساحة سبعة أفدنة وقصرا على مساحة فدانين ونصف<sup>(٢)</sup>.

وقد رسمت الجزيرة فى خرائط الحملة الفرنسية كحقول وبساتين ، وقد اهتم الفرنسيون بها وجعلوا الجزيرة الصغيرة المسماة جزيرة عازر المواجهة لامبابة محجرا صحيا إلا أنه لم يستمر بعد ذلك<sup>(٣)</sup>.

وقد بدأت العمارة تعود مرة أخرى للجزيرة أيام محمد على الذى أنشأ بها فى سنة ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م قصرا بين المزارع فى الجهة الشمالية منها وقد اتخذها للنزهة ، وكان بالقرب من هذا القصر زمالك (عشش) يصطاف فيها رجال حاشيته وعساكر حرسه فعرفت المنطقة منذ ذلك الوقت باسم الزمالك ، كما بدأت القصور الفخمة تعرف طريقها للجزيرة وأصبحت من أرقى الأحياء بمصر بما أنشئ بها من القصور ذات البساتين والعمارات الفاخرة والحدائق الكبيرة والأندية الرياضية والاجتماعية والفنادق والمعارض والقصور الثقافية ، وصارت الجزيرة مقر السكنى الأول للطبقة الارستقراطية فى مصر فى عصرها الحديث .

### صناعة السفن بالجزيرة:

نظرا لاهتمام دولة المماليك فى بعض فتراتها بالبحرية والأسطول لذا فقد شهدت الجزيرة الوسطى نشاطا بحريا كبيرا فازدهرت بها صناعة السفن والمراكب وخصوصا الحربية منها مثل مراكب الأتربة والشوانى والطرايد<sup>(٤)</sup>، وكانت أيام صناعتها وتدشينها من أبهج وأنزه أيام مصر ، وكان الناس يأتون إلى الجزيرة من جميع أنحاء القاهرة للفرجة عليها وهى ذاهبة للغزو أو لعمل المناورات والتدريبات البحرية .

ومن أمثلة ذلك تلك الشوانى الحربية وعدتها مائة مركب ما بين غربان وطرايد والتي صنعت سنة ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م لتقوم بحملة على جزيرة قبرص وغيرها من البلاد الأوربية ردا على الغزو البحرى من الفرنج الذى تعرضت له مدينة الاسكندرية فى السنة السابقة<sup>(٥)</sup>.

(١) كتاب وقف عثمان كتخدا رقم ٢٢١٥ أوقاف ، ص ١٥٣- ١٥٤ .

(٢) كتاب وقف عبد الرحمن كتخدا رقم ٩٤٠ أوقاف . وقد ورد فى وثائق وكتب وقف الأمير عبد الرحمن كتخدا أن الأرض التى أقام عليها البستان والقصر كانت جارية فى وقف الأمير يشبك بن مهدى الدوادار وحتى تاريخ كتاب الوقف أى سنة ١١٥٧هـ كان يجاور بستان وقصر عبد الرحمن كتخدا أرض جارية فى أوقاف أولاد السلطان بيبرس وكذلك أرض فى وقف الأمير أزيك الاتابكى ، وكان يجاور بستان عبد الرحمن كتخدا أرض زراعية جارية فى وقف السلطان مراد خان والأمير إسماعيل بك وغير ذلك .

(٣) جومار ، وصف مدينة القاهرة . ص ٣٤٢ .

(٤) عن هذه السفن ، انظر : سعاد ماهر ، البحرية فى مصر الإسلامية ، ص ٣٥٢- ٣٥٩ .

(٥) المقرئى ، السلوك ، ج٣ ، ص ١١٣ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ابن إياس ، بدائع الزهور ، ج١ ، ق٢ ، ص ٢٧ ، ٤٦ ، ٤٤ ، ٤٥ .

وكذلك تم فى أيام السلطان اينال (٨٥٧ - ٨٦٥ هـ / ١٤٥٣ - ١٤٦١ م) عمارة مراكب أغربة بالجزيرة الوسطى وذلك القيام بحملة على جزيرة قبرص ، وقد أقيمت إحتفالات كبيرة بتلك المناسبة (١) .

وظلت السفن تعمل بالجزيرة بعد سقوط دولة المماليك وتبعية مصر لسيادة الدولة العثمانية فقد ذكر « ابن إياس » أنه فى رجب سنة ٩٢٧ هـ / ١٥٢٠ م توجه ملك الأمراء (خاير بك) إلى الجزيرة الوسطى وسبب ذلك أن الأمير تنم الناظر على وقف الدشيشة (٢) التى ترسل إلى الحرمين الشريفين كان قد صنع هناك مركبا كبيرا لحمل الدشيشة وكان طولها مائة وعشرين ذراعاً وبها فرن وطاحون وصهريج للماء الحلو ومقعدو مبيت واسطبل للخيل فعرضها على ملك الأمراء ثم فك أحشائها وأرسلها على ظهور الجمال إلى الطور ومن هناك يرسلها إلى البحر المالح (٣) .

#### رابعاً : جزيرة الوراق

كانت جزيرة الوراق منتزهاً كبيراً فى بداية العصر المملوكى لأنه كان يحتفل بربوعها إلى جانب النيل وشبرا المواجهة لها بعيد الشهيد الذى كان يمثل مهرجانا شعبيا آنذاك (٤) .

وجزيرة الوراق ذات شكل بيضاوى تقع فى وسط مجرى النيل وتتبع من الناحية الإدارية مركز امبابه محافظة الجيزة .

وهذه الجزيرة من أكبر الجزر النيلية إذ تبلغ مساحتها ١٥٤٠ فداناً (٥) ، وتدل حالتها على أنها مقطعة من رأس الدلتا (٦) .

وجزيرة الوراق من النواحي القديمة واسمها الأصلى جزيرة الأسلى وكانت من الأعمال الجيزية (٧) . وقد عرفت بجزيرة الوراق نسبة لمواجهتها لناحية الوراق التى بالبر الغربى للنيل .

والنشاط الغالب على هذه الجزيرة الآن النشاط الزراعى فقط .

(١) ابن إياس ، نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٣٦٢ .

(٢) الدشيشة هى القمح المجروس أى الذى يطحن غليظا .

(٣) بدائع الزهور ، ج٥ ، ص ٣٩٩ .

(٤) عن هذا العيد بالتفصيل انظر ما يلى ، ص ٥١٥ .

(٥) عبد القادر عبد العزيز ، استخدام الأرض فى الجزر النيلية ، ص ٢٩ .

(٦) نفسه ، إبراهيم زرقانه ، قمة دلتا النيل وتغير مواضعها منذ أقدم العصور البشرية حتى الوقت الحاضر ، مجلة

آداب الاسكندرية ، المجلد الرابع ، ١٩٤٨ م ، ص ٢٩ .

(٧) ابن الجيعان ، التحفة السنية ، ص ١٤٣ .